وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر . بسكرة .

كلية: الآداب واللغات

قسم: الآداب واللغة العربية

تجليـــــات الخطــاب السياســي والإيـديـولـوجي في رواية " الأعظـــم " لإبراهيـــم سعدي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللّغة العربية

تخصص: نقد أدبي

إعداد الطالب:

ساعـد عطيـة

إشراف الدكتورة

سعاد طويل

لجنة المناقشة

سامية آجقـو	دكتـــــورة	رئيـسا
سعاد طويـل	دكتـــــورة	مشـرفا
نعيمة فرطاس	دكتـــــورة	مناقـشا

السنـــة الجـــــامعية:

1437– 1438 هـ

2016 – 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقدمـة

يشكل الخطاب السياسي والإيديولوجي مرجعية مهمة للمتن الروائي الجزائري، فقد كتب العديد من الروائيين الجزائريين عن التحولات التي عاشتها الجزائر، مثل "الطاهر وطار " في " الشمعة والدهاليز "، و"بشير مفتي" في " بخور السراب "، و"إبراهيم سعدي " في " فتاوى زمن الموت" .

وكانت الرواية هي الملاذ للكاتب، ليشق من خلالها كل الحواجز التي تأسره، فهي الخطاب الذي يحمل كل مكبوتات الكاتب وثورته الداخلية على كل مظاهر التسلط والهيمنة، والظلم والاستبداد.

ومن بين الروائيين الذين خاضوا في هذا المجال نجد " إبراهيم سعدي "، الذي رسم لنفسه مسارًا متميزًا من خلال البحث في الخطاب السياسي الجزائري، فكانت المرجعية السياسية حاضرة وبقوة في مختلف رواياته، سواء من حيث الاهتمام بفترة العشرية السوداء في رواية " بوح الرجل القادم من الظلام "، أم الاهتمام بالمراحل التاريخية السياسية التي مرت بها الجزائر، وتسليط الضوء على السلطة، والكشف عن المسكوت عنه بطريقة فنية، والمزج بين الشخصيات الواقعية وبأسماء فنية مستعارة.

لقد بحثنا في روايات " إبراهيم سعدي "، ووقع اختيارنا على رواية " الأعظم "، بغية الكشف عن تجليات الخطاب السياسي والإيديولوجي في الرواية.

كل هذه التمظهرات تدعونا إلى طرح بعض التساؤلات وهي: إلى أي مدى استطاع الروائي " إبراهيم سعدي " الكشف على البعد السياسي والإيديولوجي في الرواية، وهل استطاع التوفيق من خلال المزج بين الخطاب الروائي الفني والخطاب السياسي الواقعي؟.

لقد تشكلت الدراسة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة. خصصنا المدخل لطرح المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للخطاب، ثم مفهوم الخطاب السياسي والخطاب الإيديولوجي.

ليأتي الفصل الأول الذي عنوناه بـ" تمظهرات الخطاب السياسي في الرواية "، حيث زاوجنا فيه بين النظري والتطبيقي، لنعرف خطاب السلطة، ثم خطاب الرعية، وأخيرا السياسة القمعية.

أما الفصل الثاني فكان موسوما بـ" تمظهرات الخطاب الإيديولوجي في الرواية "، وقد عنيّ بدراسة " صورة الحاكم بين الرجعية والاستبداد"، كما تعرض أيضا " لصورة المحكوم بين الانهزامية والخضوع ".

وبعد ذلك لنا وقفة مع ملخص الرواية والتعريف بالروائي " إبراهيم سعدي "، لننهي البحث بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

اقتضت الدراسة الانطلاق من البنية الداخلية للنص، وربطها بالبنية الخارجية، حتى نقف على صلب الموضوع، كما كان المنهج التاريخي صالحا لرصد المرجعية التاريخية السياسية، وساعدنا أيضا المنهج السيميائي في دراسة شخصيات الرواية.

وكأي دراسة واجهتنا العديد من الصعوبات، أبرزها موضوع الدراسة في حد ذاته، كون المرجعية السياسية تشكل صورة شائكة في جميع جوانبها، فهي تمس واقع الحكم العربي والعالمي بخبياه وأسراره، إلى جانب صعوبة الحصول على المراجع.

أما عن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث فنذكر:

- معجم ابن منظور، لسان العرب.
- جابر عصفور، آفاق العصر.
- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب.
- محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي.
- محمد عكاشة، لغة الخطاب السياسي.

- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا.
- سليم بتقة، البعد الأيديولوجي في الرواية الجزائرية.

لكن بعون الله استطعنا تخطي هذه الصعاب فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد.

وأخيرا لا نزعم أن هذا البحث وصل إلى نتائج نهائية لا تقبل الجدل، ولكننا سعينا في هذا البحث ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. ويبقى البحث في هذا الموضوع بابا مفتوحا للدراسة والتمحيص من قبل الباحثين، فالخوض في غماره له جانب من المتعة والمعرفة العلمية.

وفي ختام هذا البحث نسوق كلمة شكر وامتنان والتي نخصصها للأستاذة المشرفة "سعـاد طويــل "، لتفانيها في الإشراف على البحث وتحمل كل الصعاب، فمن الأعماق لها كل الفضل والتقدير والعرفان.

مدخل:

1- مفهوم الخطاب:

1-1 الخطاب لغة:

1-2 الخطاب اصطلاحا:

2- مفهوم الخطاب السياســـــي:

3- مفهوم الخطاب الإيـديولـوجي:

1- مفهوم الخطاب:

1-1: الخطاب لغة:

ورد في لسان العرب في مادة خطب ما يأتي: << خطب : الخطبُ : الشأنُ أو الأمرُ، صغر أو عظُم . وقيل سببُ الأمر، ويقال : ما خطبك ؟ أي ما أمرك؟ وتقول :هذا خطب جليل ، وخطب يسير . والخطبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، والشأن والحال .ومنه قولهم :جل الخطب أي عظُم الأمر والشأن وفي حديث عمر ،وقد أفطروا في يوم غيم من رمضان ،فقال :الخطب يسير .وفي التنزيل العزيز :" قال فما خطبكم أيها المرسلون" ؟ وجمعه خطوبٌ >> [1]. وبهذا القول فإن الخطاب هو السؤال عن الأمر أو الشأن والحال .

<< يقال : خطبَ فلان فخطبه وأخطبَه أي إجابة ،والخطاب والمخاطبة:مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا،وهما يتخاطبان. والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر ، واختطب يخطب خطابة واسم الكلام : الخطبة >>.[2]

وفي هذا السياق نجد أن الخطاب هو الإجابة عن السؤال ، والحوار بين شخصين أو أكثر ، والخطبة مصدر الخطب الذي يخاطب الناس ويحدثهم .

نجد المعجم العربي الأساسي يعرف لفظة خطب بالآتي. << خطبَ يخطبُ خطابةً فهو خطيب :- القوم / في القوم / على القوم : ألقى فيهم خُطبة . "خطب على المنبر(....)، خطبَ يخطبُ خطابةً وخاطبةً.الشخص واجه بالكلام. في فلان / أمرِ: راجعه في شأنه >>.[3]

---

[1] – معجم ابن منظور: لسان العرب، ج4، ط3، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (1419هـ -1999م)، ص134

[2] – المصدر نفسه، ص135

[3] – لاروس: المعجم العربي الأساسي، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.س، ص404

2-1 :الخطاب اصطلاحا: (Discours)

الخطاب هو << الكلمات الاصطلاحية التي هي أقرب إلى الترجمة والتي تشير حقولها الدلالية إلى معان وافدة ، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية ، فما نقصد بالكلمة المصطلح (الخطاب) هو نوع من الترجمة أو التعريب لمصطلح Discourse في الانجليزية، ونظيره Discours في الفرنسية، أو Diskurs في الألمانية ...>> [1].

إن مصطلح الخطاب له عدة معان ليست من اللغة العربية وهو نوع من الترجمة، أما مصطلح الخطاب على مستوى الاشتقاق اللغوي: << فأغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لمصطلح (الخطاب) مأخوذة من أصل لاتيني ، هو الاسم Discursus المشتق بدوره من الفعل Discursere ، الذي يعني (الجري هنا وهناك) أو (الجري ذهابا وإيابا) وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي ، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال ن وغير ذلك من الدلالات التي أفضت في اللغات الأوروبية الحديثة إلى معاني العرض والسرد ...>> [2] .

كما نجد أن الخطاب في الحقيقة ليس إلا الطريقة التي تكون فيها اللغة في فعل الخطاب بين الخطاب والمتلقي والعلاقة بين وحدات اللغة المشكلة للخطاب، ويذهب "دومينيك مانغونو" (Dominique Mangono) إلى القول: << إن مصطلح الخطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطاب ،يحيل على نوع من التناول للغة ، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد ، فاللغة في الخطاب لا تعد نسبة اعتباطية بل

[1] – جابر عصفور: آفاق العصر، ط1، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق– سوريا،1997، ص47

[2] – المرجع نفسه، ص47–48

نشاط لأفراد مندرجين في سياقات معينة >> [1]، وانطلاقا من هذا التوجه فالخطاب هو الكيفية في تناول اللغة ، ذلك أن اللغة بنية ذات دلالة ولغة واعية غير اعتباطية وهي التي تكون بين الأفراد بصفة فعلية ، تحمل في علاقات تركيبها معاني ودلالات هذه الدلالات هي مركز البحث فيما يعرف بتحليل الخطاب .

والخطاب عند "جيرار جينيت"(Gerar Ginette)، << هو الوسط اللساني في نقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية >> [2] .

وفي تحديد أعم للخطاب يذهب "دومينيك" إلى تقسيم الخطاب إلى :

1- << خطاب / جملة : الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل >> [3] ،فالخطاب هو بنية لغوية أساسها في الجملة.

2- << خطاب / ملفوظ : من حيث هذه الوجهة ، يحيل الملفوظ والخطاب على وجهتي نظر مختلفتين : إن النظر الملقى على النص من حيث بناؤه (اللغوي يجعل منه ملفوظا)، أما الدراسة اللغوية لظروف إنتاج هذا النص فتجعل منه خطابا >> [4]، إن الخطاب يشكل وحدة اتصال إذا كان من حيث البنية اللغوية فإنه ملفوظ ، وقد يرتبط بظروف إنتاج معينة فتجعل النص المنتج خطابا .

---

[1] – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر، محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 ، ص38

[2] – جيرار جينيت: خطاب الحكاية، تر، محمد معتصم وآخرين، ط3، منشورات الاختلاف،1997، ص38-39

[3] – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص38

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

3- << خطاب / لغة: اللغة من حيث هي نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدد لهذا النظام >> [1]، إن اللغة مشتركة بين الأفراد ولكن لكل فرد طريقته الخاصة في الخطاب واستعمال هذه اللغة .

الخطاب هو نقل مجموعة من الأحداث والأخبار الواقعية والتخيلية بلغة واضحة وكلام مفهوم بين الجماعة .

كما نجد أن مصطلح الخطاب عند " جابر عصفور" هو اللغة المفهومة التي هي في حالة فعل وممارسة يلزمها فاعلا. << الخطاب في كل اتجاهات فهمه ، هو اللغة في حالة فعل ،ومن حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا ، وتؤدي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها >> [2].

إن الخطاب هو مجموعة من الوظائف والقواعد المتسلسلة والمترابطة لتؤدي دوراً اجتماعياً معرفياً واضحاً.

لقد تعددت دلالات ومفاهيم مصطلح الخطاب في الدراسات العربية، التي تعيننا على فهم الواقع بأدوات معرفية ، حيث يذهب "جابر عصفور" في قوله: << تشير إلى أفاق واعدة من النظر العقلي والرؤى المنهجية، كما تشير إلى أدوات معرفية تعين على فهم الواقع في ممارساته الخطابية المختلفة وأن أي نظرية عن الخطاب بعامة تتضمن نظرة عن المجتمع بالضرورة >> [3] .

نجد أن الخطاب مرتبط بالمجتمع، ذلك أن الخطاب يشكل بواسطة اللغة والتي هي من مقومات المجتمع، كما أن الخطاب يرتبط دوما بالمجتمع من حيث معالجة قضاياه

---

[1] – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص38.

[2] – جابر عصفور: آفاق العصر، ص48

[3] – المرجع نفسه، ص50

وتطلعاته، فالمجتمع أو بوجه التحديد المكونات الاجتماعية من لغة وعادات وثقافة هي التي تشكل الخطاب.

ومنه << إذا كان الخطاب هو ما تؤديه اللغة عن أفكار الكاتب ومعتقداته فإنه لابد من القول إن الخطاب يقوم بين طرفين أحدهما مخاطِب وثانيهما مُخاطَب ،والخطاب عموما عبارة عن وحدات لغوية تتسم بـ:

- التنضيد : ما يضمن العلاقة بين أجزاء الخطاب ،مثل أدوات العطف وغيرها من الربط .
- التنسيق : مما يحتوي تفسير للعلائق بين الكلمات المعجمية .
- الانسجام : وهو ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الواقع >> [1].

هذه الوحدات هي التي تضمن للخطاب كيانه ووحدته وهي التي يقوم عليها ،كونه خطاب منتظم ذات رسالة.

[1] – رزان محمود إبراهيم: خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 2003، ص17–18

2- مفهوم الخطاب السياسي:

إنه لمن الصعب أن نحصر مفهوم الخطاب السياسي وفق شروط، فليس هناك خاصية ضرورية ولا كافية يمكن أن تجمع كافة تحققات ما نرى أنه خطاب سياسي، إذ يقول "محمد الصالح البوعمراني" في كتابه "الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي": << الخطاب السياسي هو التعريف الذي يمثل المعبر الأفضل عن هذه المقولة ،مثلا خطاب رئيس الدولة أو الخطاب الذي يجمع الخاصيات الأكثر تواترا في الخطابات السياسية ، ويمكن أن يكون تمثيلا ذهنيا لا يتحقق بالضرورة في خطاب بعينه >> [1].

إن الخطاب السياسي هو خطاب رئيس الدولة أو شخصية عليا تمثل دولة أو سلطة في البلد .

ويمكن أن نقتصر في الخطاب السياسي على سمتين اثنتين:

<< أولهما تتعلق بمنشئه وهو رجل السياسة،ممارسا للشأن السياسي حاكما أو معارضا أو ناشطا سياسيا ،وثانيهما تتعلق بموضوع الخطاب الذي يكون في الشأن السياسي >> [2].

إن هاتين السمتين وإن بدتا في الظاهر سمتين بديهيتين فهما تثيران إشكاليات في تعريفهما تعريفا دقيقا. فيما يتعلق بالسمة الأولى يطرح سؤال أساسي على الشكل الآتي: من هو السياسي ؟ أو من هذا الرجل الذي يمثل السياسة ؟ أو ما نوع هذا الموضوع السياسي ؟ وكلا السؤالين ليس من السهل الإجابة عنهما ،إجابة نهائية ،وهما أساسا يتعلقان بتعريف السياسة .

---

[1] – محمد الصالح البوعمراني: الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، (1436هـ- 2015م)، ص41

[2] – المرجع نفسه، ص42

إن مفهوم السياسة يبدو مفهوما بديهيا عند عامة الناس، يتحدثون عنها وفيها. << فالسياسة حتى بالنسبة لأولئك الذين يرفضونها، هي من الأمور اليومية >> [1].

لكن بقدر بداهة مفهوم السياسة بقدر ما نرى تعقيدات تعريفية، إنها تشكل جزءا من العالم الذي نعيشه. وهذه الصعوبة نتيجة كون السياسة ليست موضوعا أو شيئا واضحا يمكن وصفه أو التعبير عنه فهي من جهة سلوك ومن جهة أخرى صفة يمكن أن تطلق على بعض التصورات .

و<< يبدو تعريف السياسة عند العديد من السياسيين والمثقفين مجرد موقف من السياسة لا سمات تعريفية لها ، فالسياسة خداع ، والسياسة فن الممكن، والسياسة إرادة قوة. وغيرها من المواقف تعلمنا أن السياسة خير أو شر ، ولكنها لا تخبرنا أي شيء عن ماهيتها >> [2] .

إن تعريف السياسة ليس محصورا أو مقيدا، بل قد يكون موقفا أو رأيا سياسيا عند العديد من السياسيين والمثقفين ، وهناك تعريفات من يحصر السياسة في مفهوم السلطة أو الحكم .

لابد أن هذا التعريف سيمكننا من فك إشكال تعريف (الخطاب السياسي) فالخطاب السياسي كل خطاب صادر عن رجل سياسة ، والذي يمتلك صفة سياسية ، في أي موضوع سياسي.

[1] – محمد الصالح البوعمراني: الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ص42

[2] – المرجع نفسه، ص44

والخطاب السياسي هو الذي يصدر عن جهة سياسة أو حزبية وهو الخطاب الذي يحمل توجها سياسيا ، أو لنقل الخطاب السياسي هو ما << يراد به خطاب السلطة الحاكمة في شائع الاستخدام، وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود ، يقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب ، ويتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية ، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيا >> [1]. أي أن الخطاب السياسي هو خطاب السلطة الحاكمة الذي يهدف إلى استمالة الشعب أو ترهيبه، أو إلى عرض المخطط السياسي لهذه الجهة، وما نجده في هذا النوع من الخطابات أنه يعتمد على الأساليب التأثيرية حيث يهتم بالأفكار والمضامين أكثر من اللغة .

و<< الخطاب السياسي يهتم بالأفكار أو المضامين ، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ ، فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس >> [2]. لأن الخطاب السياسي يخاطب العقل أكثر منه إلى العاطفة، لذلك يرتكز على المضامين والأفكار أكثر من اهتمامه بزخرفة اللغة، لأن المرسل يعتني بالفكرة التي يود إيصالها للمخاطب والتأثير فيه قصد اجتذابه وإقناعه بما حمله من أفكار سياسية، فهي الأساس في الخطاب .

---

[1] – محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة– مصر، (1426هـ– 2005م)، ص45

[2] – المرجع نفسه، ص46

إن الخطاب هو وحدة متماسكة ومترابطة أو بالأحرى متناسقة بين الحكام والمحكومين فيما بينهم، ونجد ذلك في قول "محمود عكاشة": << فالنظام السياسي يمد شبكات واسعة الاتصال تقوم بين الحكام والمحكومين ، فتحقق الانسجام بينهما ، ونستخدم السلطة في ذلك أدوات مؤثرة مثل : التوجيه الاقناعي والضغط المتعمد ، والتجنيد السياسي، والتنشئة السياسية >> [1]. إن هدف الخطاب السياسي هو التأثير في الفرد من كل الجوانب، وخاصة من جانب سلوكه الاجتماعي ووضعه تحت سيطرة السياسة ووضع المجتمع في حدود السلطة ، فيصبح هذا المجتمع أو أفراد المجتمع من الممتلكات الخاصة للسلطة.

ويمكن توضيح سلسلة العلاقات السياسية في شكل مخطط كالآتي : <<

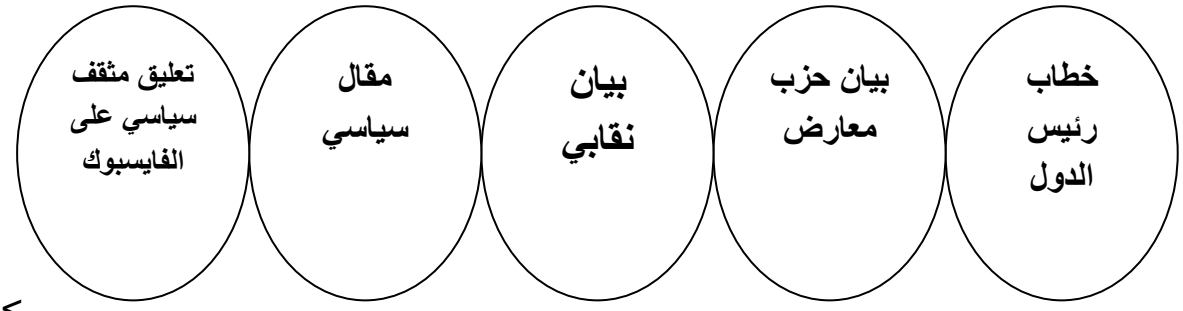

>> [2].

انطلاقا من هذا المخطط يمكننا رصد مجمل الخطابات السياسية وتمثيلاتها حسب الجهة الصادرة عنها ،ومنه خطاب رئيس الدولة الذي يمثل دوما الوجه العام للسلطة ، وخطابه متمثل في تشريع قوانين أو توجيه مبادئ خادمة لسلطته .

كذلك بيان حزب معارض الذي نجده في غالبيته يتضمن توجهات سياسية. وتبحث عن معارضة السلطة والإطاحة بها، كما أنها قد تحمل مبادئ وأساسيات تخدم توجهها السياسي. أما المقال السياسي فنجده دوما من جهة أطراف سياسيين أو جهات مختصة

[1] – محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ص47

[2] – محمد الصالح البوعمراني: الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ص49

في السياسة، ويحمل هذا المقال دوما تحليلا للوضع السياسي أو إعطاء الملامح اللازمة للسياسة .

كما نجد تعليق المثقف السياسي وهو محاولة لإبداء الرأي إزاء الحالة السياسية، إلا أن هذا التعليق يبقى محدود الأبعاد، لا يكون في غالبية الأوقات ذا نفع وهو لا يتعدى أن يكون محاولة لإبداء رأي.

هذه الحدود هي الأوجه العامة التي نجد عليها الخطاب السياسي .

3- مفهوم الخطاب الإيديولوجي:

بداية ينبغي لنا الإشارة إلى أن لفظة إيديولوجيا هي لفظة دخيلة عن اللغة العربي، ولتحديد مفهومها وجب علينا النظر في أصلها، و<< تعني لغويا في أصلها الفرنسي ، علم الأفكار ، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعارتها الألمان وضمنوها معنى آخر ثم رجعت إلى الفرنسية، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية >> [1]، وهذا التوتر الذي شهده هذا المصطلح أدى بالضرورة إلى عسر تحديد مفهومه في اللغة العربية، وعجز الترجمة العربية عن ضبطه راجع إلى المنظومة الفكرية والذهنية والعقائدية التي وجد فيها واختلافها عن العقلية والمناخ الفكري العربي ، لذلك يصعب إعطاء تحديد دقيق لهذا المصطلح .

وحين نعود للتأصيل في التراث العربي لهذا المصطلح، فإنه يتعسر علينا إيجاد بديل لغوي مطابق لمفهوم الإيديولوجيا . إننا نجد في العلوم الإسلامية لفظة لعبت دورا محوريا كالدور الذي تلعبه اليوم كلمة إيديولوجيا ، (...) ،غير أنه من المستحيل إحياؤها والاستعانة بها عن كلمة إيديولوجيا التي انتشرت رغم عدم مطابقتها لأي وزن عربي. لذا أقترح أن نعربها تماما وندخلها في قالب من قوالب الصرف العربي وتصبح كلمة إيديولوجيا دخيلة على اللغة العربية مثلها مثل أي كلمة أجنبية معربة ومطابقة للوزن العربي [2] .

ولعدم قابلية ترجمة وتأصيل هذا المصطلح في التراث العربي الإسلامي، فإنه يتوجب علينا بالضرورة تعريب هذا المصطلح واستعماله كلفظ مستحدث في اللغة العربية.

---

[1] – عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص9

[2] – ينظر عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ص10

وقد استخدم "دي تراسي" (Antoine sestutt de tracy) << كلمة إيديوليوجية بمفهوم أوسع وأشمل باعتبارها علم دراسة الأفكار والمعاني كما هي في الواقع المحدد تاريخيا، ليست الأفكار في ذاتها بل لذاتها في معانيها وفي تعبيرها وأساليبها وتظاهراتها واستخداماتها ودلالاتها في مجتمع معين وفي مواقف اجتماعية محددة وفي سياق حضاري ثقافي محدد >> [1].

وحسبه أن هذا مصطلح "الايديولوجيا" يهتم بدراسة الأفكار والتوجهات الفكرية، كما هي في الواقع، أي أن هذه الأفكار مرتبطة بالواقع والمجتمع التي تنبت فيه، وهي مقترنة اقترانا بالمجتمع ،أي أنها ظاهرة تدرس في مجتمعها، وأن الأيديولوجيا هو الفكر الذي يمكن دراسته انطلاقا من المجتمع.

ويذهب عالم الاجتماع الألماني "مانهايم" "manheim "، في حديثه عن الإيديولوجيا فيقول : << "الإيديولوجيا" يعكس اكتشافا واحدا ينبثق من الصراع السياسي، وأقصد بذلك أن الجماعات الحاكمة تستطيع أن تصبح من خلال تفكيرها شديدة الارتباط المصلحي بموقف بحيث لا تعود – ببساطة – قادرة على إدراك حقائق بعينها قد تفوض معنى الهيمنة لديه >> [2].

ترتبط الإيديولوجيا لديه بالمفهوم والتوجه السياسي، وهي تمثل قرارات السلطة الحاكمة ومنهج سياسي للجماعة الحاكمة.

---

[1] – نبيل رمزي: سوسيولوجيا المعرفة، جدل الوعي والوجود الاجتماعي، دار الفكر الجامعي– الإسكندرية، 2001، ص18

[2] – كارل مانهايم: العصر والإيديولوجيا، نقلا عن عبد السلام بن عبد العالي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط1، الدار البيضاء، 1989، ص11

وإن نظرنا إلى الايديولوجيا في مفهومها، نجدها تتشكل على مستويين لكل منها إطاره الذي يحدده ، فهو مزدوج << المستوى الذي تقف عنده الأدلوجة حيث تظن أنها حقيقة مطابقة للواقع ، وهو المستوى الثاني الذي يقف عنده الباحث لوصف تلك الأدلوجة بوفاء وأمانة، والمستوى الثاني هو الذي يقف عنده الباحث عندما يحكم على الأدلوجة أنها أدلوجة لا تعكس الواقع على وجهه الصحيح >> [1] ، وبهذا الاعتبار فإن مفهوم مصطلح الايديولوجيا يتشكل على مستويين: أولهما يصف الواقع والآخر ينتقده ، لأنه إذا بقي الباحث في مستوى واحد فإنه يتوجب عليه إذن أن يحكم في إطار الحق والباطل ، إذا كانت الأدلوجة تصف الواقع بأكثر مصداقية وأمانة فهي في إطار الحق، وما جانب الواقع فهو في إطار الباطل .

إننا حين نتكلم عن الايديولوجيا فإننا بطبيعة الحال نتكلم عن واقع معين وعن فكر معين مرتبط بهذا الواقع، الذي تحدده جملة من الصلات سواء أكانت دينية أم فكرية، وهي في الأساس ترتبط بعقلية المجتمع الذي تمثله، ولفهم هذه الايديولوجيا يجب أولا معاينة السمات الاجتماعية التي تلامسها، << كما قلنا: أدلوجة فكرنا ضمنيا بواقع ما وحقيقة ما، ولا تحكم عن الأدلوجة أنها أدلوجة إلا بالنسبة لذلك الواقع ، وتلك الحقيقة، هذا إذا وضعنا المفهوم في موضع لائق به، وإلا فإننا نستعمل الكلمة لا المفهوم >> [2].

ويحدد "عبد الله العروي" استعمالات لمفهوم الأدلوجة حيث جعله مرتبطا بمجال وبعلة وبوظيفة. وهذه العناصر تجعل تحديد مفهوم الأدلوجة سهلا ومستساغا.

[1] – عبد الله العروي: مفهوم الايديولوجيا، ص11

[2] – المرجع نفسه، ص12

وقد أجملها في الجدول التالي: <<

أدلوجة	التفكير	المضمون	الوظيفة	المرجع	المجال	النظرية
قناع	وهمي	المجتمع	الانجاز	المصلحة	المناظرة	النسبية
رؤية كونية	نسبي	الكون	الإدراك	التاريخ	اجتماعات الثقافة	التاريخية
معرفة	آني	الحق	تظاهر **الكون**	الجدل	نظرية المعرفة والكائن	الجدلية

>> [1].

وما يذهب إليه " عبد الله العروي " أن هذه الحدود التي يضعها للايديولوجيا هي التي تحدد مسار المفهوم وتوضحه في إطار المستخدم له، ويذهب إلى أن اعتبار هذه الحدود لا يمكن الاستغناء عنها ، وأي محاولة لإسقاطها يقود بالضرورة إلى غموض المفهوم وإلى عدم قابلية إدراكه ويقول: << غالبية المستعملين اليوم ينسون أو يتناسون هذه الارتباطات المنطقية ، لكنهم لا يستطيعون محوها من تفكيرهم ، فتؤثر في تحليلاتهم وتحدد اختياراتهم وتفرض عليهم مناهجهم رغما عنهم >> [2].

ومن خلال الجدول نجد أن الأدلوجة لها عدة معان، وفي كل معنى تختلف بشكل كبير عن المعنى الآخر من حيث التذكير والمضمون والوظيفة والمرجع والمجال والنظرية.

[1] – عبد الله العروي: مفهوم الايديولوجيا، ص12

[2] – المرجع نفسه، ص13

أولا في معنى القناع << تستعمل الأدلوجة في معنى القناع في مجال المناظرة السياسية، وتخلق تفكيرا وهميا، تتضمن تقريرات وأحكاما حول المجتمع، تنبع عن مصلحة وتهدف إلى إنجاز عمل معين وتقود إلى نظرية نسبية فيما يتعلق بالقيم >> [1]

أما الأدلوجة في معناها الثاني وهو معنى الرؤية الكونية في نظر " عبد الله العروي " فهي << تحتوي على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون تستعمل في اجتماعات الثقافة، لإدراك دور من أدوار التاريخ وتقود إلى فكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرجوع إلى التاريخ كقصد تحقق عبر الزمن >> [2] .

أما الأدلوجة في معناها الأخير، فإنها توظف في معنى المعرفة ويقصد بها، << معرفة الظاهرة الآنية والجزئية في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن . تتضمن أحكاما حول الحق ، وظيفتها إظهار الكائن للإنسان الذي هو جزء من ذلك الكائن، ويقود هذا الاستعمال حتما إلى النظرية الجدلية >> [3]

ويقرر " سعيد بن كراد ": << أن الإيديولوجيا بصفتها نظاما مجسدا أو بصفتها جهازا نظريا عاما، تمتلك وجودا قبليا على شكل حالة انتظار للمتلقي...>> [4] .

إن تأقلم مصطلح الإيديولوجيا مع كثير من الجوانب المعرفية النقدية ، يعطيه ثراء واسع، مما يؤدي إلى اتساع مجالات استعماله المعرفية المختلفة، الذي يستعمل ويوظف عند كثير من الدارسين بالرغم من عدم اتفاقهم على مفهوم واحد للإيديولوجيا.

---

[1] – عبد الله العروي: مفهوم الايديولوجيا، ص13

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] – سعيد بن كراد: النص السردي نحو سيميائيات الإيديولوجيا، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص14

كما نجد الباحث " سليم بتقة " يقول: << إن المفهوم الواسع لكلمة إيديولوجيا والاستعمال المتنوع إلى حد التضارب والالتباس لها، هو الذي حال دون تحديد مفهوم جامع لها ، وهي تتصدى مع كثير من المصطلحات كالذهنية والعقيدة ، ورؤية العالم ، والرؤية الكونية فضلا عن تراوح مع الأنثروبولوجي ، كل مظاهر النشاط والإنتاج الفكري والروحي في المجتمع وبين المعنى الحصري الضيق الذي يحيل على مجموعة حالات الشعور، والوعي المرتبط بالعمل السياسي ، أو هي جملة التماثلات المصاحبة للعمل السياسي في مجتمع معين والهادفة إلى الاستيلاء على السلطة أو الحفاظ عليها >> [1] .

إن تنوع وكثرة استعمال كلمة الايديولوجيا في مختلف المجالات دون ضبط مفهومها وتحديد مجال استعمالها أدى بها إلى الغموض، فنجدها في المدلول الاجتماعي والأدبي تحمل تعقيدات أكثر ما هي في السياسة، لأن الايديولوجيا نسق فكري واع مرتبط بالعمل السياسي أو هي جملة من الأعمال السياسية في مجتمع معين للسيطرة على النظام أو الحفاظ عليه .

كما نفهم من التوجه الذي ذهب إليه " سليم بتقة " أن الايديولوجيا هي مصطلح مشتت مضطرب تتنازعه جملة من المفاهيم والتصورات وهو ما جعله عصيا عن التحديد، فهو مركب من كونه ذا صيغة اجتماعية وسياسية، فهو قد يمثل رؤية العالم والتي تحدد من خلالها التصورات والانطباعات التي تحتويها الايديولوجيا كما أنه قد يتمثل لأي أشكال عقائدية وفكرية تتبلور في مجملها فيما تمليه العقلية للكيان الاجتماعي ، أو هي ذات صورة سياسية تحمل مكونات توجه سياسي لجماعة محددة قصد الاستقطاب وفرض السلطة.

[1] – سليم بتقة: البعد الأيديولوجي في الرواية الجزائرية –رواية الحريق– لمحمد ديب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، بسكرة، 2006، ص10

ويذهب " سليم بتقة " في حديثه عن الإيديولوجيا إلى القول: << وفي هذا الإطار عمل " التسيير" (Althusser) على التمييز بين الإيديولوجيا الكلية والأيديولوجيا الجزئية، فالأولى أقرب ما تكون إلى الثقافة أي الإطار الاعتقادي أو الفكري العام المؤطر للمجتمع. أما الثانية فتعني " الأيديولوجيا " الطبقية أو الجزئية العاملة في المجال السياسي والثقافي >> [1] .

وباعتبار الايديولوجيا نسق اجتماعي فهي مشكلة بطبيعة الحال من جملة أبنية المجتمع، ويرى " سليم بتقة " أن هناك ايديولوجيا كلية وهي التي تتمثل فيها بالمرتكزات الثقافية والفكرية العقائدية ، أما الايديولوجيا الجزئية فهي مركب خاص بالجانب السياسي.

[1] – سليم بتقة: البعد الإيديولوجي في الرواية الجزائرية –رواية الحريق– لمحمد ديب، ص10

الفصـل الأول:

تـــمظهـــــــــرات الخطـــــــــاب السياســـــــــــي في الروايـــــــة:

1- خطاب السلطة

2- خطــاب الـرعيــة

3- السياسة القمعية

سنتناول في هذا الفصل تجليات الخطاب السياسي في الرواية ،ونتطرق إلى عدة نقاط من بينها، خطاب السلطة الذي نعني به الشخصيات التي تمثل السلطة ،وخطاب الرعية الذي نقصد به المعارضة وموقف الشعب من غضب واحتجاج ونضال وتغيير وانقلاب ،وكذا السياسة القمعية أو بالأحرى ذلك الحاكم الديكتاتوري العنيف كل هذه المظاهر السياسية أسهمت بشكل كبير في تمحورات الخطاب السياسي في رواية "الأعظم " قيد الدراسة.

1/ خطاب السلطة (شخصيات لتمثل السلطة) :

إن الشخصيات التي تمثل السلطة، هي الشخصيات التي تكون في مكان معين ويكون بيدها سلطة اتخاذ القرار، وإبراز المهارات الشخصية حسب الكفاءة والفكر والثقافة، وليس شرط أن تكون القرارات صحيحة، قد تكون أغلب القرارات خاطئة، ولكن أن تكون لك القدرة على تنفيذ القرارات والعمل بها.

هناك أنواع مختلفة للسلطة، فقد حدد " ماكس ويبر" Max Weber " عالم الاجتماع الألماني، وأحد رواد النظرية البيروقراطية، ثلاثة أنواع رئيسية للسلطة، وهي : السلطة التقليدية، السلطة الجذابة، السلطة الرشيدة، والسلطة التي تفيدنا وتهمنا في هذا الموضوع هي السلطة الجذابة،و << تتمثل هذه السلطة في القادة العظماء والمتميزين من أبطال الحروب والزعامات القيادية، فهي تعتمد على الصفات الشخصية والقدرات والخصائص المميزة للقائد، مما يجعل المجموعة تلتف حوله وترى بأن صفاته خارقة ونفوذه قوي وفعال، مما يمكنه من تحقيق أهدافهم وطموحاتهم >> [1].

[1]– الحريري رافدة: مهارات القيادة التربوية في اتخاذ القرارات الإدارية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، د.ص .

فنجد الشخصيات التي تمثل السلطة في الرواية، هم القادة العظماء والمكافحين وأبطال متميزين بأفعالهم، الذين شاركوا في الثورة ومناضليها وثوار قيادية، بفضلهم نالت دولة المنـــارة الاستقلال وتحرير بلدها وشعبها من الاستعمار، الذي دام طوال عشر سنوات، مما أدى بنا إلى جعل عنوان بارز، للتطرق وذكر هذه الشخصيات والقادة الكبراء، التي تمثل السلطة في دولة المنارة وفي الرواية خاصة :

عبد الباقي باكور: القائد الأعلى لقوات الثورة، هذا القائد الذي كان يحترمه جميع أصدقائه أثناء الثورة، وكان الهدف الأول هو نيل الاستقلال ورؤية العلم الوطني لدولة المنارة يرفرف في سماء الله، والفوز بشرف الشهادة في سبيل الوطن، لكن استشهد القائد الأعلى لقوات الثورة، في مهمة كانت تتطلب بلوغ حدود أقرب بلد مجاور، للاتصال بممثلي الثورة في الخارج، لطلب السلاح والمئونة للثورة، فاستشهد << حين داهمته قوات الاحتلال بطائرات لم يسلم من قذائفها لا هو ولا أي واحد من أفراد المجموعة المكلفة بحمايته>> [1] .

موت " عبد الباقي باكور"، غَيَّر كل شيء أثناء الثورة وبعدها، ليجد نائب القائد الأعلى لقوات الثورة وهو " لزهر كلوك " نفسه قائدا، << هكذا يرتقي إلى منصب القائد الأعلى لقوات الثورة، لكن دون أن يثير الأمر حفيظة أحد في الحقيقة >> [2] .

لزهر كلوك: أو بالأحرى " الأعظم " كما لُقِبَ بعد الثورة، كان رائداً في الثورة، وكان يتمتع بثقة " عبد الباقي " القائد الأول للثورة، وهذه الثقة التي جعلته قائدا بعد موت "عبد الباقي " ومن حقه، وبعد الاستقلال أصبح رئيسا وحاكما لدولة المنارة، والسبب الذي جعل أصدقاءه في الثورة ورفقاءه في النضال يختارونه رئيسا بعد الاستقلال، لأن "

[1]– إبراهيم سعدي: رواية الأعظم، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د.س، ص17.18،

[2]– المصدر نفسه، ص18

كلوك " << ظل دائما يحاول الإقتداء بقائده الكبير طوال ما تبقى من سنوات الثورة >> [1]، هذا السبب الكبير الذي جعله أن يكون رئيسا وحاكما وينفرد بالسلطة.

إيمان زوكورة: الشاعر أو الكومندان، الشاعر الذي يدبر العمليات العسكرية وإتقانه تنظيم الشعر الفصيح والملحون والنحت على الخشب، << غير أن إيمان زوكورة عرف خصوصا بوصفه مؤلف قصيد " فداك يا بلدي "، النشيد الوطني للمنارة >> [2]، وبعد الاستقلال، هو المكلف بالشؤون الثقافية للدولة، وعضو في المكتب السياسي.

عيسى بوزو: الطالب السابق الذي تخلى عن مقاعد الجامعة في سبيل الوطن والتحق بالثورة، وهو المسؤول عن الاستعلامات وجهاز الاستخبارات التابع للثورة، والذي خطط لرحلة " عبد الباقي " الطويلة، والمنسق لها مع جميع القيادات في مناطق مختلفة، وهو أكثر شخص تأثر باستشهاد " عبد الباقي باكور "، وأصبح بعد الاستقلال مسؤول المخابرات لدولة المنارة، << وكان بحكم وظيفته كرئيس المخابرات رجلا قويا في الدولة >> [3].

لمين شريف: إنه المحارب الشاب، كان عضوا من أعضاء قيادة الثورة، والذي شارك في استقلال البلاد وحارب الاستعمار ، لأن يصبح بعد الاستقلال شخصية من الشخصيات التي تمارس السلطة، وهو مستشار سابق " للأعظم "، كما أنه مهتم بشؤون بلده البترولي والعربي، حتى يصير مع الوقت من أشد المعارضين " للأعظم ".

حمدان لاغا: هو عدّاء سابق في المسافات الطويلة، صنف الماراتون لكنه التحق بالثورة، وترك الركض تحت راية الاحتلال، وكان في نظر الكثير بطلا كبيرا في العدو، ليرتقي بعد الاستقلال إلى وزير قطاع الرياضة.

---

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص19

[2]–المصدر نفسه، ص12

[3]– المصدر نفسه، ص28

الممرضة مونية: هي ممرضة أثناء الثورة، وخطيبة " حمدان لاغا " شاركت خطيبها الحلو والمر عشر سنوات الثورة المجيدة، التي كانت تبدو للجميع أنها حق مشروع من حقوق " حمدان "، لكن بعد الاستقلال حدث ما لم يكن في الحسبان، ولا يتوقعه أحد "الأعظم " يتزوج " بمونية " الممرضة خطيبة " حمدان لاغا "، لتكون " مونية " حليلة "الأعظم ".

هيثم ميميش: الملقب بـ " الأعرج "، اللقب الذي أطلقه عليه أعداءه بعد الاستقلال، وذلك راجع لعرج في رجله ليسرى، و يرتقي بعد الاستقلال إلى مستشار الخاص " للأعظم "، في الأمور العائلية، ونقل الأخبار، ليكون أحد أهم وزراء " الأعظم "، وهو وزير الداخلية لدولة المنارة.

نور الدين سطورا: الرائد في الثورة، وهو الوحيد من بين الثوار والمجاهدين في الثورة الحافظ للقرآن الكريم عن ظهر قلب، يكلف بعد استقلال البلاد، بوزير الشؤون الدينية.

ناصر شيكو: كان محاميا معروفا في الثورة، ودافع عنها أمام محاكم الاحتلال، وكانت له مهام في الخارج لفائدة الثورة والبلد، وبعد استقلال المنارة حكم عليه بالسجن، ليفر منه ويلتحق بالمنفى، ويؤسس حزب سري داخل الوطن ويعمل به، وهو من ابرز المعارضين لحكم " الأعظم ".

داود بن طولون: رئيس حزب محظور، وكان << يدعو في السابق إلى طرد الاحتلال من دون استخدام العنف >> [1]، لكنه غادر البلاد بعد الاستقلال، خوفا من أن يسجن أو يعدم مثل ما فُعل بـ" ناصر شيكو ".

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص23

سعد الدين بيتو: طالب سابق، شارك في الثورة، والعقيد الذي حكم عليه بالإعدام من طرف " الأعظم " بعد الاستقلال، ليلتحق بالمعارضة، وهو من أبرز وأشد المعارضين لحكم ورئاسة " الأعظم ".

الجنرال صفوان باعلي: كان رائدا في الثورة، ومن أهم وأبرز الشخصيات السياسة المتمردة والثائرة و المعارضة لسياسة " الأعظم ".

الجنرال لطفي: قائد المتمردين والمعارضين لنظام " الأعظم " وسياسته، إلى أن ينظم في آخر المطاف إلى صف " الأعظم ".

مهند: ابن " الأعظم " البكر، شخصية تمثل السلطة، مسؤول أول في جهاز المخابرات والاستعلامات، وكان أكثر قوة ونفوذا من أخويه " فارس " و " عبد الغفور "، وكان أجدر إنسان بمنصب نائب الرئيس، ويملك كل المؤهلات ليكون قائد وحاكم المنارة الأوحد بعد والده " الأعظم ".

فارس: ابن " الأعظم "، شخصية تمثل السلطة، كمسؤول عن الحزب، ليحتل منصب نائب الرئيس للبلد، وكان مرشح لخلافة أبيه في كرسي الحكم قبل اغتياله.

عبد الغفور: نجل " الأعظم "، << إذ ما كان يشبه الأعظم في أي جانب من الجوانب، على خلاف فارس ومهند، اللذين كانا نسخة طبق الأصل للوالد الأعظم >> [1]، لم يكن "عبد الغفور " يشاطر أفراد عائلته في الحكم والسياسة، بل كان مجنونا بالملاكمة، وأمنيته وحلمه بأن يكون بطل المنارة وملاكم عالمي، وبعد تخليه عن ممارسة الملاكمة، بسبب والده، تولى مسؤولية اتحادية الفن النبيل في البلاد، ليعتلي بعدها نائب رئيس المنارة، وشخصية من شخصيات دولة المنارة، بعد اغتيال أخوه " فارس "، وإعدام " مهند "، وبعد وفاة " الأعظم "، صار رئيس البلاد، ودولة الحاكم السابق " الأعظم ".

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص309

2/ خطاب الرعية (معارضة، موقف الشعب، انقلاب، احتجاج،...):

هم مجموعة من الناس التقت آراؤهم وتحركت للوقوف ضد السياسات الحاكمة في بلد من البلدان، ويقدم هؤلاء آراء مضادة لآراء السلطة الحاكمة، فهم معارضون لسياسات ضمن نظام الدولة، والمعروف أن أية سلطة تحرص على أن تكون سلطتها مقبولة من قبل أفراد المجتمع وشعبها، وأن تكون هناك طاعة واحترام، و تقبل للقوانين الصادرة منها والخضوع لها بدون احتجاج أو معارضة.

والمعارضة هي عدم الموافقة على قرار سبق اتخاذه، أو هي الاختلاف في الحكم السياسي الذي يسود المجتمع، إن << المعارضة السياسية هي قوى وهيئات تعبر عن آراء ومصالح فئات اجتماعية، لها أهداف ومشاريع وخطط تختلف عن أهداف وخطط السلطة السياسية القائمة >> [1]، وهي إنكار الرعية على سلطة الحكم، لأن لولا وجود معارضة وموقف الشعب من احتجاج وغضب، وأداء المعارضة لدورها يحول دون تسلط الحاكم، ولهذا نلحظ أن الديكتاتوريين يزدادون غرطسة كلما غاب رأي الشعب أو اعتراضهم، وهذه المشروعية لا تقف عند حدود الفرد بل يمكن تشكيل أحزاب سياسية تعمل على تنظيم قاعدة، وتعلن الحرب والتغيير على سلطة الحاكم، والدعوة إلى الإصلاح، ونبذ السياسة القمعية والديكتاتورية التي يطبقها الرئيس على الدولة، أو المجتمع بصفة عامة بدون تمييز أو انحياز أو شفقة.

فنجد بعض الأحزاب المعارضة للنظام محظورة من قبل الدول، لأن هذه الأحزاب ومعارضتها تتعلق بالتغيير، وليس المشاركة في السلطة أو غايتها النصح، بل تسعى إلى تغيير الأنظمة الحاكمة، وإعلان الخلافة لسلطة الحاكم.

---

[1]– سربست مصطفى رشيد اميدي، المعارضة السياسة والضمانات الدستورية لعملها (دراسة –قانونية –سياسية – تحليلية – مقارنة)، ط1، مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر، منتدى اقرأ الثقافي، 2011، ص45

وإن جور السلطان والسياسة التعسفية التي يستخدمها ويتعامل بها، لا محال يؤدي إلى غضب الشعب والاحتجاج والمعارضة على حكمه، فالمعارضة تعمل على وضع حد لأخطاء الحاكم، ومحاولة تغييرها، أو النضال على مسحها بصفة مطلقة، أو الانقلاب عليه وعلى حكمه، << النضال لغرض الوصول إلى السلطة وتغيير نظام الحكم >> [1]، وهذا النضال لا يرتبط بالشعب فقط، بل بكل من ينتمي أو ينتسب لحزب ما، ويناضل ويعارض السلطة ويحتج عليها، ويرفض سياستها ويريد تغيير حكمها.

إن موقف الشعب هو عدم التجاوب مع السياسة القمعية المفروضة عليه، مما يؤدي بطبيعة الحال إلى وجود معارضة سياسية، تقوم بنشر آراء وأفكار وأهداف خاصة بها، بطرق متعددة كالأحزاب السياسية والجمعيات، لأن هدف المعارضة واحتجاج الشعب وغضبه، هو الوصول إلى سلطة الحاكم، لتحقيق ما تهدف وما تصبو إليه من حرية ونبذ قمع الحاكم.

كان حكم " الأعظم " يحتكر كل شيء، ليس السياسة فقط، ففي دولته لا يسمح بتأسيس الأحزاب، والقيام بأنشطة سياسية معارضة داخل البلد، ويعمل على إبعاد منافسيه من العمل السياسي والمشاركة في أمور الحكم والدولة، فكان المعارض " ناصر شيكو " وغيره ممن شاركوا في الثورة، يعارضون حكم " الأعظم " بعد الاستقلال ويرفضونه، فلجئوا إلى العمل بتنظيمات سرية داخل الوطن، لأنهم لا يتمتعون بأية حرية أو إمكانية للعمل، << راح يدعو الشعب إلى خوض ثورة أخرى >> [2]، لأن خطط وأهداف معارضة " ناصر شيكو " وغيرهم في ظل وتحت هذا النظام " للأعظم " بعيد عن الموضوعية، لأن إطالة فترة حكم " الأعظم " تجعل أهداف ومواقف المعارضة أكثر عنفا.

---

[1]– سربست مصطفى رشيد اميدي، المعارضة السياسة والضمانات الدستورية، ص45

[2]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص24

وبما أن المعارضة تنظيم سياسي لها أطرها المنظمة الخاصة بها وتحمل رؤى وأفكارا، وتعمل على تطبيق خطط وبرامج لابد أن تجد طريقها للتعبير، مما يؤدي ببعض المحتجين والرافضين للحكم إلى استخدام الاغتيال أو الانقلاب وسيلة لتحقيق أغراضهم، وتستخدمه الجماعات المتمردة التي تسعى إلى تعزيز مواقفها ضد السلطة، فإن الرئيس " الأعظم " صار شخصا آخر بعد أول عملية تعرض لها وهو في الحكم، حيث حاول معارضوه اغتياله، كما يطلعنا السرد: << محاولة اغتيال أولى تعرض لها >> [1]، وهذه المحاولة الأولى التي تدل على التمرد والرفض والبحث عن التغيير، وتعد جريمة قتل للحاكم " الأعظم "، وهو مستهدف من قبل المعارضين والمشككين في حكمه، الذين أرادوا إشعال النار وجعل الأجواء العامة تلتهب وتكون سببا في التحريض و الثورة والتغيير، وهذه هي العملية الأولى التي تعرض لها قائد البلاد " الأعظم " بعد استقلال البلاد من المستعمر، وكان اغتياله في المسجد الذي اعتاد على صلاة الجمعة فيه، لخلق حالة من الخوف والرعب كافية، وتدمير نظامه وحكمه.

وبعدما أصابت عدوة حكم " الأعظم " الديكتاتورية عائلته، ولم تتوقف في هرم السلطة والحكم، هذا ما جعل والده " الطاهر " ينظم إلى المعارضة، << دخول والده المعارضة وتحريضه الناس عليه >> [2]، وفي ظل سيادة نظام الحكم القمعي " للأعظم "، فإنه في صراع مع والده و المعارضة قبل شعب المنارة، لكشف حقيقة هذا الحاكم الطاغية، والتخلص من هذا القمع و القهر.

لقد كان والد " الأعظم "، يخطب في الشعب ويقول أنا واحد منكم، فقير مثلكم، وأن " الأعظم " ليس إلا ابن رزقني الله به مثما رزقكم الله ذريتكم، أما بالنسبة لكم أنتم فهو رئيسكم وحاكمكم وولي أمركم، فاخرجوا إلى الشوارع والطرقات وطالبوه بحقوقكم وما

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص24

[2]– المصدر نفسه، ص42

تحتاجون وإصلاح أموركم، وأثبتوا له أنكم شعب وأناس لا تخشونه ولا تخافون إلا من الله تعالى.

مما أدى بوالد " الأعظم " إلى << التوقف في الأسواق الشعبية، يخطب في الناس داعيا إياهم إلى محاربة ما يسميه الفساد والظلم، ... >> [1]، لقد كانت دعوة " الطاهر " والد " الأعظم " لمواجهة الظلم والاضطهاد والفساد الذي حل بدولة المنارة وشعبها بعد الاستقلال، ودعوة والده كانت لخلق وعي سياسي بين أفراد مجتمع، وجعل المواطنين يتابعون القضايا السياسية والاجتماعية وغيرها في بلدهم.

ولعل انظمام والد " الأعظم " للحزب المعارض ما هو إلا وسيلة للتعبير عن مشاكل ومعاناة الشعب من نظام حكم ابنه الديكتاتوري القمعي، لأن الحزب المعارض هدفه وغايته حماية الحريات العامة والأفراد والدفاع عن حقوق الشعب، وإصلاح الوطن والنضال ضد هذا الحكم والحاكم الذي لا يعرف الشفقة والرحمة.

وبمجرد وصول " الأعظم " إلى السلطة و إحكام قبضته وسيطرته على الحكم، من خلال الوسائل المختلفة والمسيطرة على الدولة وجميع مؤسساتها، استطاع أن يوهم الشعب بأنه هو من خلق الانتصارات والمعجزات، وهو الذي يحقق الرفاهية والاستقرار لأبناء شعبه، وعلى الشعب تقديم كل التضحيات، بأرواحهم وأملاكهم فداءا للديكتاتور " الأعظم".

إلا أن استمرار هذا الحكم من الطاغية " الأعظم " لدولة المنارة، يؤدي لا محالة إلى الفساد، ويكون سببا في الثورة وانعدام الاستقرار في البلاد، لأن " الأعظم " يعتقد كل الاعتقاد أنه الأفضل لحكم تلك الدولة.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص44

ولكن هذا ما جعل المعارضة تصل إلى قناعة، بأن فرص وصولها إلى السلطة وتغيير الحكم إلا عن طريق الشعب بالاحتجاج ،وأن الأساليب السلمية أصبحت أمرا غير ممكن.

وهذا الكبت المستمر والإحساس بالظلم أدى بالمعارضة أن تسلك طريق العنف والانقلاب، << الفرصة التي قررنا التدخل أثناءها للإطاحة به >> [1]، فنجد هنا أن المعارضة ترفض حكم الرئيس " الأعظم " وتريد التغيير بأي طريقة تسمح لذلك والإطاحة به، إذا لزم الأمر بالاغتيال أو حتى الانقلاب عليه. وحيث ما توجد الدولة القمعية، فبالضرورة تكون هناك معارضة بشقيها (الشعب ، داخل النظام بحد ذاته)، نتيجة لعدم رضا الفصيلين بالممارسات السائدة من قبل الذي انفرد بالحكم لنفسه.

إن معارضة الشعب التي تتمثل في عدم إيمانه بالحاكم ورفض الخضوع والانصياع، والتعبير بشتى الطرق عن نفورهم من حاكمهم القمعي. ومعارضة فصائل داخل الحكم بحد ذاته تكون أقوى وأخطر، لما لها من قوة وتأثير، نتيجة لوجود أصحابها وقادتها في مراكز مسؤولية رفيعة الشأن والمستوى، سياسية كانت أم عسكرية أم مدنية، تماما مثل ما حدث مع " الأعظم "، والرجال المناوؤن لسياسته ولحكمه ومن بينهم، (صفوان باعلي، لمين شريف، سعد الدين بيتو، الجنرال لطفي، ناصر شيكو،...)، الذين حاولوا القيام بانقلاب أو ما وصف بتمرد، وتحينهم الفرصة للانقضاض على الحكم وعزل القائد " الأعظم " من كرسي العرش، من خلال اطلاعهم على مهامه ونشطاته وخرجاته بعيدا عن الوطن، لدرجة الحديث عن معارك، ذوي قنابل و مدافع، هدير الطائرات والدبابات، كل هاته تأتي لتبين التشققات داخل نظام الرئيس.

ويتبين أن معارضة هؤلاء الأشخاص، كانت متسلسلة وغاية في السرية خوفا من بلوغها مسامع " الأعظم ".

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص159

واستخدمت آليات والمذرعات، << فكانت تلك الآليات من علامات التمرد التي تتبع قوات الجنرال صفوان باعلي >> [1]، ومنه كان لزاما التأكيد على أن عمل المعارضة لم يكن سهلا ويظهر للعلن، بل كانوا في غاية الحيطة والحذر.

الانقلاب هو << (بالإنجليزية :Coup) (بالفرنسية :Coup d'ètat) هو تغيير نظام الحكم عبر وسائل سلمية (الانقلاب الأبيض) أو غير سلمية ويكون على العادة من داخل مؤسسة الحكم نفسها سواء كانت سياسية أو مدنية التي تحكم الدول >> [2]. ويمكن فهم الانقلاب انطلاقا من كونه تغييرا، يحصل من طرف قوة مناوءة لقوة أخر وقد يكون هناك انقلاب سياسي، كما قد يكون عسكري على مدني كما حصل " للأعظم "، والمعركة التي تمت بقيادة " صفوان باعلي " في القرية، والعمليات القتالية التي حصلت مع القوات النظامية، أين لم يسلم كلا الفصيلين، تعرضا لعديد الخسائر والأضرار الكبيرة، وبالأخص فيصل المعارضة الذي كان في حالة يرثى لها نتيجة أنه رفض الاستسلام والإقرار بالهزيمة، أملا في اللحاق بالمدد والعون من الجنرال " لطفي "، << كان المتمردون في وضع يرثى له على أنهم رفضوا الاستسلام طمعا في دعم الجنرال لطفي، أملهم الأخير جعلهم متمسكين بمواقعهم، رغم وضعهم الميؤوس منه >> [3].

ومن خصائص وميزات الانقلابات العسكرية أنها تكون من طرف شخصين قياديين أو أكثر، و ذوو حنكة عسكرية، وتتميز الوقائع والأحداث بالسرية والتخطيط والعمل البعيد عن الأنظار، وبخاصة عن القيادة التي سيتم الانقلاب عليها وعزلها، مثلما يتضح من خلال النشاطات والأعمال السرية التي كان يقوم بها السيد " لمين شريف " و " سعد الدين

---

[1]- إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص181

[2]- مفهوم الانقلاب و مقارنة بين الانقلاب العسكرى و الثورة، الجمعة 21 أفريل الساعة 15:00 -http://free-forever.yoo7.com/t29-topic

[3]- إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص185

بيتو "، كما اتصف المعارضون بالغموض والريبة والشك في من حولهم خوفا من فشل الانقلاب الذي هم بصدد القيام به، كما يقول " لمين شريف ": << كنت أريد استفسار سعد الدين عن كثير من الأمور، لكن وجود الشخصين الآخرين المجهولين بجانبنا جعلني أركن إلى الصمت طوال الطريق تقريبا >> [1].

وتماشيا لممارسات " الأعظم " وهو في كامل صحته، استمر الوضع حتى حين فاجأه المرض وأوقعه طريح الفراش، لم يتخلَ عن عاداته، وأمر بعدم كشف حقيقة حاله، وإبقاء الغموض سائدا حول مرضه، وسخر في سبيل ذلك كل الوسائل، بما فيها أجهزة أمن دولة المنارة. هذا ما يسمى بالنظام القمعي الذي يتصف بالغموض والسرية والاعتماد شبه كلي على القدرات البوليسية، << إلا أن الشائعات انتصرت هذه المرة أيضا على دقة وصرامة أجهزة و مصالح أمن المنارة >> [2]، وتفهم الشائعات التي تكون في الأنظمة القمعية على أنها تلك الأخبار و المعلومات التي يتم تداولها بين نطاقات واسعة في المجتمع، نتيجة لانغلاق النظام وتحصينه ومنع تسرب المعلومات، لدرجة عدم معرفة الشعب هل قائده مات أم على قيد الحياة.

كانت الحياة وفي كامل أرجاء البلاد، تلفها حيرة الغموض والقلق مما هو حاصل وما سيحصل نتيجة مرض الرئيس، وزادتها سوءا حدة الشائعات الرائجة خاصة وأن مسؤولي دولة المنارة لم يكلفوا أنفسهم عناء اطلاع الشعب على حقيقة الأوضاع الجارية ولا الإدلاء بتصاريح إعلامية يتم بها طمأنة الشعب، مما ترك الباب مفتوحا أمام كل الاحتمالات << ظلت ترزح البلاد طوال مرض قائدها حالة من الكآبة والانتظار الغامض والقلق >> [3].

---

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص186

[2]– المصدر نفسه، ص4

[3]– المصدر نفسه، ص5

وتظهر لنا السياسات القمعية في أنها تحاول إظهار القائد القمعي على أنه هو المخلص وهو المنجي للبلاد من كل مشاكلها، وأنه الملهم الذي يعطي الانطباع بأنه الكل في الكل، << شعور غريب بأن البلاد ماضية نحو المجهول وبأسرها، إحساس بالفراغ واليتم شملها>> [1]، وأنه في غيابه فستغيب الدولة ولن تقوم لها قائمة، ويتضح كذلك أن الشعب في حالة من الحيرة بسبب خوفه من مصير البلاد إن مات القائد " الأعظم "، نتيجة لأن دولة المنارة لم تعرف رئيسا غير " الأعظم ".

لقد كان موت " الأعظم " صادما وتم تشييع جنازته، وخُيل كأن شعب المنارة قد خرج عن بكرة أبيه لتوديع قائده، وتم هذا في وسط حالات من العويل والصراخ والإغماء والتدافع، في حين أن الشوارع والطرقات بدت في ذلك اليوم الكئيب فارغة تماما وخالية من الحركة، في غياب حركة المرور، والغلق التام للمحلات وساد الصمت والخشوع والوحدة كأنه يوم غيم، << تشييع جنازة الأعظم " في ذلك اليوم الذي بدا كما لو أن خرجت فيه عن بكرة أبيها لتوديعه >> [2]. وتمت فترة حكم القائد " الأعظم " مثلما لم يتوقعه لا هو ولا شعبه ولا حتى معارضيه، بعدما اتصفت ممارساته بالقمع والتعسف والتسلط، وانفراده بكل القرارات والأحكام في كل المجالات التي تهم أمور دولة المنارة، فكان الوضع غريبا بالنسبة للشعب نتيجة لعدم معرفتهم رئيساً غير"الأعظم" منذ الاستقلال، بمعنى غياب أي شكل من أشكال الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة، الذي يفيد بأن يتم الحكم والقيادة بشكل دوري سلمي وسلس، بالإضافة إلى أن شخصية القائد والرئيس "الأعظم" لم تكن مدنية، بل كانت عسكرية، وهو الذي تتصف به الأنظمة القمعية العسكرية، التي لا مجال فيها للحديث عن قائد غير عسكري، و الخطابات فيها تتم باسم الشرعية والثورية والوصاية على الشعب .

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص6

[2]– المصدر نفسه، ص7

3/ السياسة القمعية (الدولة القمعية) :

إن المقصود بالدولة القمعية هو ذلك النظام الحاكم ،الذي لا يسمح فيه بإبداء الآراء ، ولا مكان فيه لحرية التعبير، كما لا يسمح فيه بالاحتجاج، كما أن القرارات فيه لا تناقش، ولا يمكن رفضها.

لقد كان الغموض يستولي دائما على الشخص الملقب بـ" الأعظم" وهو الرئيس والحاكم لدولة المنارة بعد الاستقلال مباشرة، واسمه الحقيقي هو" لزهر كلوك " ولقد اشتهر عند شعب المنارة بتسمية << أبو شارب، لقب اشتهر به عند الشعب، بعد الاستقلال، أكثر من القائد الأعظم، لقبه الرسمي آنذاك >> [1]، ويعد " أبو شارب " اسما مستعارا أطلقه شعب المنارة عليه بعد الاستقلال ، بسبب شاربه السميك والداكن. لقد كان الرئيس "الأعظم " قريبا من الشعب، وكان يخرج ويتجول في شوارع المنارة، دون حراس شخصيين، ولكن رئيس المخابرات كان يوفر له الأمن والحراسة دون علمه بالأمر.

إن رئيس الدولة يغيب، ولا أحد يدري أين هو، حتى كشفت أجهزة المخابرات أنه أيام الجمعة، يذهب إلى مسجد قديم خارج المدينة ترعرع فيه وتعلم الطريقة الصوفية على يد أحد كبارها، وكان هذا المسجد يعطيه راحة أكثر وجو أفضل، لحل مشاكل الدولة بعد الاستقلال.

واختص " كلوك " بتنظيم الدولة وفرض نفسه إذ أنه << ظل يمارس سياسة أخرى مع معارضيه >>[2] الذين شككوا فيه وفي حكمه، إذ يتجلى القمع السياسي هنا خوفا من فقدان السلطة، فبدأ باعتقال الواحد تلو الآخر، ومعاملتهم معاملة قاسية، وأول قرار أصدره الرئيس هو إعدام " ناصر شيكو "، الذي كان أول المعارضين لحكمه. لأن دولة

---

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ، ص12

[2]– المصدر نفسه، ص23

المنارة بعد الاستقلال وقبلها دولة مقدسة ويجب على الجميع احترامها ،مما جعل رئيسها يختص بتنظيمها وتصفية المعارضين ، ومقاومة الأشخاص المسلحين في البلاد، مما جعله يكسب الثقة والاحترام من الجميع والشعب خاصة، وهذا الشيء الذي عمل عليه " الأعظم " منذ مغادرته منزل عائلته في حوالي سن العشرين، ليلتحق بالثورة، ويعود إليه بعد ما يقارب عشر سنوات في ثوب رجل كبير وعظيم وحاكم لدولة المنارة (رئيس دولة المنارة)، وبعد مرور الوقت حدث أمر لم يكن يخطر على بال أحد، وهو تطليق " الأعظم " لزوجته " كوثر "، التي صبرت على فراقه عشر سنوات الثورة، وهو بعيد عنها وهذا الأمر الذي أثار غضب والد " الأعظم " لأن زوجة " الأعظم " لم تكن زوجة ابنه فقط في الثورة، بل البنت و الأخت والأم ، مما جعله يغادر قصر ابنه الرئيس والعودة إلى بيته القديم << الأعظم طلق كوثر وأباه في آن واحد >> [1] . هذا القمع والعنف الموجه تجاه زوجته وأبيه، جعل والده ينضم إلى المعارضة وتحريض الناس ضده والدعوة إلى الثورة عليه، مما جعل " الأعظم" يأمر أعوانه السريين باختطاف أبيه وأخذه إلى مكان مجهول، فكانت هذه العملية تدل على أن " لزهر كلوك " تغير في شخصيته، بعد وصوله إلى السلطة، وأن أوامره تطبق مهما كانت ودون تمييز، إلى أن وصل به الحال إلى وضع أبيه في المنفى والإقامة الجبرية، بعيدا عن العالم الخارجي، وهو نفس إقامة مطلقة " الأعظم "، إن الفعل القمعي للرئيس لم تسلم منه حتى عائلته، فكل هذه الأفعال تدل على ديكتاتورية " الأعظم "، والسياسة التي اتخذها لتخويف وترهيب وبث الرعب في الشعب عامة ومعارضيه خاصة، وكل من له نية في المساس بالدولة. وقد سمع " الأعظم " بأن زوجته المطلقة وقعت في الحب، وتريد الزواج برجل أخر مما أدى بالرجل الطاغية إلى << اختطاف المطلقة لتوضع تحت الإقامة الجبرية >> [2]، إن الزوج الديكتاتوري يمتاز بحكم مطلق شمولي داخل الأسرة أو خارجها، أكان أباً أو زوجةً سابقة، يقمع كل ما يراه

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص40

[2]– المصدر نفسه ، ص77

أمامه، ولا يتوانى في الإعدام و الخطف و وضع زوجته أو أباه تحت الإقامة الجبرية، وهذا أسلوب التسلط والقسوة، باستخدام أساليب العقاب النفسي أو الجسدي في المعاملة، كما تعرض الرجل الذي ينوي بالزواج بمطلقة الرئيس إلى تهديدات وضغوط، لأن المرأة التي يريد الزواج بها ليست امرأة عادية، بل مطلقة " الأعظم " رئيس وحاكم دولة المنارة، إلى أن وصل الأمر << اختفى إذن الرجل دون أن يدري أحد كيف وأين ومتى >> [1]، وهذه وسيلة ضغط مارسها " الأعظم " لقهر مطلقته وكل من له صلة من قريب أو بعيد.

إن السياسة التي يسير عليها " الأعظم "، من المستحيل أن يحلم فيها الأفراد بالوصول إلى السلطة أو الحكم، أو تسيير شؤونهم الخاصة، وكل ما يراه الحاكم مناسبا من وجهة نظره يطبق، وبعد السياسة القمعية التي اتخذها " الأعظم " مع زوجته " كوثر"، لا أحد يتصور ما حدث وما فعله " الأعظم "، وهو الزواج بخطيبة صديقه ورفيق دربه في الثورة " مونية "، التي كانت تعمل ممرضة أثناء الثورة، الممرضة التي تمثل في نظر جميع من شارك في الثورة الحق المشروع لخطيبها " حمدان "، لكن "الأعظم"، << يستولي على امرأة شارك خطيبها الحلو والمر خلال ثورة العشر سنوات المجيدة >> [2]، الأمر الذي أثار نوعا من الاستغراب وحالة صدمة للجميع، نتيجة الفعل القمعي الذي يقوم به الرئيس.

يقيم " الأعظم " حفل زواج بالعروس " مونية "، التي هي خطيبة رفيق الثورة والأخ " حمدان "، مما أدى بعض رفقائه إلى مقاطعة حفل زواجه، والأمر الذي يثير الحيرة والدهشة أكثر، ويدل على أن " الأعظم " ليس هو " لزهر كلوك "، الذي كان صديق وزميل الثورة ،وأنه تغير في شخصيته وأصبح ديكتاتوريا وإنسانا قمعيا تعسفيا بحت، وحب التسلط وفرض القمع والقسوة بلا رحمة وشفقة، هو توجيه الدعوة لحضور حفل الزواج "

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص78

[2]– المصدر نفسه، ص80

لحمدان " رفيقه وخطيب عروسه، ولكن لا أحد من أصدقائه وزملائه المقربين الذين شاركوا الثورة قام بتلبية دعوة " الأعظم ".

وبالإضافة إلى ممارسة قمعية أخرى، تمثلت في محاولة عزل صديقه الشيخ " نور الدين"، نتيجة رفضه عدم قبول قراءته الفاتحة في عقد قران " الأعظم "، << خاصة أن الأعظم اعتبر اختياره للشيخ بقراءة الفاتحة امتيازا فريدا ومحاولا إبراز مباركة رفقائه لزواجه من مونية >> [1]، وتأتي هذه الخطوة من " الأعظم " محاولة منه جس نبض رفقائه، ومعرفة مدى قبولهم، ومكانته لدى رفاق دربه، فكان تأكد الشيخ ويقينه أن مشواره ومستقبله قد حانت نهايته، نتيجة مخالفته لأمر بسيط من " الأعظم "، في حين من وجهة نظر أخرى، والتي قالت بأن " الأعظم " يحاول معرفة مدى وفاء الشيخ لشخصه، تأتي هذه لتبين عدم وثوق " الأعظم "، وشكه وريبته في أقرب مقربيه، وهاته الممارسات ليست بغريبة على " الأعظم "، الذي تعود على فعلها وفعل أكثر منها إن تطلب الأمر.

ولا يمكن إيجاد هذه الممارسات إلا في شخصية متسلطة، تنم عنها روح القمع وإيذاء الآخرين، لا لشيء سوى لمخالفتهم أو اعتراضهم لما أرادته هذه الشخصية، حين لا مكان للحديث عن عشرة أو رفقة أو سنوات درب، تماما مثلما يتجلى في ما حدث بين " الأعظم" والشيخ.

ومن الأمور المحببة للشخصية القمعية " الأعظم "، التزلف والخطابات الرنانة، والتي ما كانت لتكون لولا القمع الممارس، والخوف المسلط على محيطه المباشر والقريب منه، فكانت النتيجة خُطب التهنئة والثناء والمدح المبالغ فيه لشخصية " الأعظم "، وتمني دوام السعادة والهناء والبقاء الأبدي حاكما للبلاد، وتظهر عنهجيته وكبره في عدم تمنيه أن تكون له البنات، مما يدل قطعا على نفسيته المتصلبة، والتي انعكست في ممارساته على

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص81

شعبه. ونتيجة لرغبته في احتكار السلطة، كانت خيانة العهد الثوري والتخلي عن المبادئ الثورية، وطعن الرفاق لدرجة إحساس بعضهم بانتهائهم سياسيا واجتماعيا وإنسانيا، وشعورهم بأن هذه الحياة ليس لها معنى، حتى أنهم كفروا بالثورة والوطن والرفاق والعالم بأسره، نتيجة ظلم " الأعظم " واضطهاده.

ومن الأمور التي لم تدع شكا بأنه قمعي حتى النخاع، وضع " حمدان " تحت الرقابة المشددة وفرض إقامة جبرية عليه، << مما دفع " بالأعظم " لوضع بيته تحت حراسة أمنية مشددة >> [1]، فكان تسخير المخبرين بنوعيهم المدني والعسكري، وفي مختلف الطرق المؤدية إلى بيت المتوجس منه " حمدان "، وتنصت على كل مكالماته، بالإضافة إلى تسخير كل من يعرف فيه مصلحة أو فائدة " للأعظم ".

ومن سمات " الأعظم " المتسلط، بحثه في كل الاقتراحات والحلول التي تريحه من مَنْ يناصبونه العداء، ويشعر بأنهم في غير صفه، حتى وإن تطلَّب الأمر نفيهم أو تهجيرهم، مثل ما فعل مع " حمدان "، حين ما اقترح عليه تعيينه سفيرا في إحدى البلدان الأجنبية، وواقع الحال يقول إنه لم يفعل هذا حبا فيه، وإنما رغبة في إبعاده وتهجيره، ونتيجة لممارسات " الأعظم " القمعية حدثت حالة انتحار عند أحد رفاق دربه لشعوره بالظلم والجور من طرف رفيق الأمس، وكتحليل لهذه الحادثة قول بعضهم، أن المنتحر أراد تبليغ رسالة تفيد بأن " الأعظم " اليوم خائن للثورة ومبادئها.

ومما يعاب على " الأعظم " وسياسته، التضليل والسرية الممارستين على نطاق واسع في البلاد، لدرجة عدم ذكر الصحافة المحلية ولا كلمة عن انتحار " حمدان "، وهو بالضبط ما يريده " الأعظم " ويستهدفه، حيث إن بقاء الأمور غامضة ومجهولة، يساعده في تحقيق أهدافه.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص83

تمادي الدولة البوليسية لممارساتها، امتد ليطال حتى الجنائز وتشييع جثامين الموتى، وانتشار عناصر المخابراتية في كل شارع و زقاق.

تطور القمع وانتهاجه كخطة محكمة وممنهجة، أدى بالمتسلط " الأعظم " إلى حد تطاوله في الحياة الدينية، كما فعل حين أمر بذكر اسمه والدعاء له في خطب الجمعة << فقد كانت المراسلة تأمر " الشيخ نور الدين " سطورا بإصدار تعليمة تتضمن إدخال تعديل في خطبة الجمعة يذكر فيها اسم " الأعظم " والدعاء له في كل مساجد المنارة>>[1]، وما التفاتته إلى المساجد ومحاولة تدخله في شؤونها، إلا دليل صارخ على وصول العنهجية إلى حد لا يطاق، فتم مطالبة بإصدار تعليمات لكافة المساجد تأمرها بهذه المستجدات.

تسلط " الأعظم " وطغيانه، امتد لأن يعين الأشخاص في المناصب هو شخصيا بنفسه، في أي وقت أراد، وأن يعمل على تنحيتهم وعزلهم في أي وقت أراد.

وتكتمل صورة الإنسان القمعي المستبد في أفعاله، والمتسلط في قراراته، حين يجمع بين الجيش والرئاسة، والسيطرة على الأحزاب و وسائل الإعلام، وقبلها يكون قد امتلك جهازا للمخابرات، حين تجتمع هذه الخصائص في رئيس أو قائد، يكون القمع هو السمة البارزة في هذا الكيان تماما، مثل ما حدث مع " الأعظم"، << إن الأعظم يسيطر ... على الجيش والمخابرات والإعلام >> [2].

ويأتي عزل الشيخ " نور الدين "، المكلف بقطاع الشؤون الدينية ، كصورة من صور القمع والاستبداد، بسبب أنه قام بمواجهة الطاغية " الأعظم "، ورفض الانصياع وتنفيذ أمر من أوامره، فكانت النتيجة السجن بدون محاكمة، وهي من أشد الممارسات

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص90

[2]– المصدر نفسه، ص91

التعسفيـة، ثم تأتي رغبة هذا الديكتاتوري المستبد، لتؤكد ما قلناه عنه سابقا، وهو قد جال في خاطره إقامة تنصيب تمثال لشخصه كبرا، وأمر صاحب النشيد الوطني، – الذي لا يكن له أي مشاعر حب – أن يشرف بنفسه على تنفيذ هذا المشروع.

وعلى ذكر النشيد، فيظهر نوع آخر من القمع، والذي يتمثل في نصب العداء للذين سبقوه ولكل الرموز الخاصة بالوطن، والتي يحس بأنها تنافسه أو تحاول مشاركته في السلطة.

لقد جعل " الأعظم " كل من يعرفه من قريب أو بعيد من رفقاء أو أصدقاء درب ومن شاركوا معه الثورة وحياته، حتى وصل إلى الحكم وتحول إلى رجل ديكتاتوري قمعي، أنها سنوات مضيعة للوقت وما هي إلا خيبات متتالية وأوهام وعذاب الضمير، وضغوط نفسية وأعمال قمعية جعلت " الأعظم " رجلا آخر غير معروف إلا بأفعاله السيئة والتعسفية و القمعية.

إن كل هذه السنوات جعلت أصدقائه ورفقائه وكل من له صلة بـ"الأعظم" وبالدولة يشعر بأنها كلها رداءة و زيف و نفاق، سنوات عذاب تحت حكم رجل لا يعرف الرحمة والشفقة، << ما قضاه من سنوات في الحكم، تحت إمرة " كلوك أو الأعظم "، سمه كمل شئت >> [1]، إلى أن جعلهم محرومـين من السلطـة، التي كانت في يوم من الأيام ملك أيديهم ولهم الحق فيها، لكن هذا الرجل العنيف، ألحق الظلم بهم أكثر من ظلم المستعمر الذي كان في بلدهم عشر سنوات، لقد توسعت دائرة قمع "الأعظم"، حتى جعلهم عراة كما خلقهم الله، << فمن يفقد سلطته يصير كالإنسان العريان من كل شيء >> [2].

إن ممارسات " الأعظم " وانفراده بكل القرارات جعلته يفكر، بل ويذهب إلى حد طمس هويات من سبقوه والقضاء على آثارهم وعلى كل ما يسبب له إزعاج ومصدر قلق لكرسي

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص16

[2]– المصدر نفسه، ص121

رئاسته، فكانت محاولته تغيير النشيد الوطني الخاص بالبلد " فداك يا وطني " لمؤلفه " زاكورة "، رفيق دربه في الثورة، لا لشيء سوى لأن هذا الرفيق أصبح يمثل إزعاجا للقائد "الأعظم "، فهو يحاول الظهور بمظهر القائد الأوحد و الوحيد في هذا البلد، << إذ كان الأعظم قد كلف خمسة شعراء بكتابة قصيدة تحل محل النشيد المغضوب عليه ... حتى تمحوه من ذاكرة الناس >> [1]، وتستمر سياسات " الأعظم " القمعية لتطال الشعراء الخمسة المذكورون آنفا حين حاولوا جاهدين تأليف ما أمرهم به فعجزوا عن تأليف قصيدة لنشيد وطني جديد يحاكي نشيد " فداك يا بلدي " في الروعة والجمال وقوة التأثير.

وعند إدراكهم بالعجز واليأس على القدرة، تجرأ أحدهم على رمي المنشفة وتقديم الاستقالة "للأعظم "، فكان مصيره السجن مدى الحياة، أما مصير آخر منهم فكان الشنق والانتحار نتيجة الذعر والخوف من المصير المحتوم. فبهت " الأعظم " نتيجة عجز من كلفهم بتأليف نشيد جديد يضاهي قوة وتأثير النشيد القديم الذي ألفه شخص واحد فقط.

وتستمر أفعال " الأعظم " الشنيعة، حين قرر القضاء على شاعر الثورة " زكورة "، والإجهاز عليه والإجهاز حتى على قريته إن تطلب الأمر، فقام بحصار منزله خاصة إذا علمنا أن الشاعر رفض الانصياع وتسليم نفسه، وتم حتى الاستنجاد بمروحية للمشاركة في حصار البيت.

عشق و وله " الأعظم " واستنشاقه لشيء اسمه القمع، جعل من صرامة وحماسة وعزم قوات الجيش، والتفاف الشعب حول حضرته، جعلها وسائل في خدمته، وخدمة ممارساته، هذا من أجل إدانة كل ما يراه فخامته مآمرة بائسة أو رخيسة أو خرقاء، لذوي من سماهم بأصحاب أهواء الخبيثة و المريضة، الذين يسعون بحسبه إلى تدمير المكتسبات المنجزة تحت قيادته السامية الرشيدة، كما رأى ضرورة محق كل محاولات

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص133

الخونة، المأجورين، المغامرين، السافلين، الخائبين على حد تعبيره، << فيما هو يؤكد بما يدع مجالا للشك لصرامة وحماسة عزم قوات الجيش الملتفين حول حضرة القائد " الأعظم " على محق كل محاولات السفلة >> [1].

إن ريبة وشك " الأعظم " في كل ما حوله وخوفه من أن يتم الانقلاب عليه، في ظل ما يدور من أحاديث وأقاويل جعله يقوم سلسة اعتقالات.

وتميزت أفعال القائد " الأعظم "، باضطهاد ومطاردة كل من يناوأه في حكمه، ويشكل له إزعاجا، وقام بتسخير أجهزة أمنية وقواته لتتبع كل معارضيه، مما دفعهم للفرار باتجاه الحدود الشرقية والغربية لدولة المنارة، << لم يدرك الأعظم هكذا قطا أن جنوده كانوا في ذلك اليوم قاب قوسين أو أدنى من وضع يدهم علي >> [2].

وعند الحديث عن أخطر ما في الدولة القمعية سنجد هناك أن الصفة الملازمة للنظام القمعي هي عمليات الاغتيال التي تفيد القضاء على كل معارض أو متمرد من دون مراعاة العواقب، كما حصل مع المعارض " سعد الدين بيتو " الذي تم اغتياله وهو في سكناه ببضعة طلاقات نارية << لقد عثر على سعد الدين بيتو قتيلا في غرفته بعدة رصاصات >> [3].

أما عن الإعلام في الدولة القمعية، سواء أكان تلفزيونا حكوميا أم إذاعةً و حتى صحافة مكتوبة، فيتم تسخيرها لصالح أفعال وممارسات النظام القمعي، والدفاع لصالحه والذود

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص164

[2]– المصدر نفسه، ص215

[3]– المصدر نفسه، ص222

عنه والتغطية عن جرائمه، << صحيفة واحدة فقط أشارت إلى أن الأمر قد يتعلق باغتيال >> [1].

واستمرت أعمال الديكتاتور " الأعظم " القمعية لتطال حتى أفراد عائلته والأشخاص المقربون منه، متجسدة في اعتقال ابنه الرجل الثاني في الدولة، الذي يتحكم في جهاز الاستعلامات والمخابرات، نتيجة للتشققات الحاصلة في النظام القمعي، والشك وريبة "الأعظم " وعدم وثوقه حتى في أبنائه، فلم يجد مانعا من زجه في السجن، << أزمة جديدة في نظام الأعظم: الديكتاتور يعتقل ابنه مهند >> [2].

كل هذه الأفعال و الممارسات من الرئيس " الأعظم " إن دلت على شيء إنما تدل على أنه حاكم ديكتاتوري وقمعي في سياسة حكمه.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص222

[2]– المصدر نفسه، ص272

الفصـــل الثاني:

تمظهرات الخطاب الإيديولوجي في الـــروايـــة:

1- صورة الحـــــاكم بين الرجعية والاستبداد

2- صورة المحكـوم بين الانهـزامية والخضـوع

1: صورة الحاكم بين الرجعية و الاستبداد:

إن الرجعية والاستبداد هما أسوأ أنواع السياسة، وأكثرها فتكا للإنسان والمجتمع المحكوم بالظلم والطغيان، وعرف الكواكبي الاستبداد في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد بالمعنى الاصطلاحي فيقول: << فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: استعباد، واعتساف، وتسلط، وتحكم، وفي مقابلتها كلمات مساواة، وحس مشترك، وسلطة عامة، ويستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات: جبار وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق >> [1]، لقد عرف الاستبداد عن طريق المرادفات والمقابلات، أما تعريفه للاستبداد بوصف عام هو، << الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين >> [2]، والاستبداد هو الانفراد بأعلى هرم في السلطة والحكم، يكون رئيسا أو حاكما للبلاد ويحمل صفة الاستبداد والرجعية (البطش والشدة)، وهي صفة ظاهرية من خلال صلاحياته ونمط الحكم نفسه، مقابل ذلك نجد أن الناس الذين يعيشون تحت سيطرته لهم صفة الأشياء.

ومما يؤكد أن الرئيس مستبد ورجعي، هو وصوله إلى الحكم عن طريق القوة وليس عن طريق الإرادة الشعبية، التي من المفروض أن تكون هي المعبر الوحيد نحو الحكم والسلطة، وهو أن يدير البلاد بأحكامه وقراراته وبقبضة حديدية من غير دستور ودون برلمان ودو معارضة ولا وجود لسلطة مضادة للدولة، ولأن يكون الرئيس مستبد هو بنائه قوة منظمة قادرة على حماية سلكته وحكمه وضمان استقراره، ويجعله يقيم نظام شمولي يسيطر على كل شيء.

---

[1]– عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ– 2006م، ص37

[2]– المرجع نفسه، ص38

فلا مكان للتعبير الحر أو القضاء المستقل أو تعددية حزبية أو فصل السلطات، << المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته >> [1].

وكي نحكم على أي رئيس يجب أن نعرف طريق وصوله إلى الحكم والسلطة، لأن الكثير من الذين يأخذون السلطة بالقوة فإنهم يعتبرون ما أخذوه ملكية لهم، لابد من الدفاع عنها بشراسة ضد كل من يحاول الاقتراب منها.

يحول الحاكم المستبد الدولة إلى ملكية شخصية، ويعتبر المعارضة أو أي طرف آخر شاذ عن منطقه أو لا يحبذ منهجه على أنه شاة خرجت عن القطيع ويجب ذبحها مباشرة أو وضعها في معزل عن باقي الخراف المطيعة الأخرى، فكان نسيبه " عيسى بوزو " أول كبش الفداء دون سابق إنذار أو سبب مقنع على الأقل، << أزاحه نسيبه من الحكم، فكان القرار غير مفهوم ومفاجئا، فما الذي حدث حتى يقيل الأعظم صهره من منصب يفترض أنه لا يوجد رجل ثقة يضطلع به أكثر من عيسى >> [2]، حين كان يتوجب على " الأعظم " تقديم تهم واضحة بعض الشيء للشعب ولمسؤوليه ليجنبهم الإبهام والبحث على إجابات مقنعة، ولكن " الأعظم " فضل عزل رئيس المخابرات مستندا لمزاجه وهواه وليس لأسباب تعود لمصلحة البلاد، بالرغم من أهمية المنصب وعدم توفر الكفاءات اللازمة لخلافة " عيسى بوزو "، ولكن هذا لم يشفع له في نظر " الأعظم " المستبد ورجعيته.

كان " الأعظم " لا يكترث للعلاقات الشخصية و العائلية حين ينوي فصل أو عزل أي شخص يعارض تياره السياسي، حتى ولو كان والده أو زوجته، كما يطلعنا السرد أن والد

[1]– عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص41

[2]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص30

" الأعظم " << تعرض للاختطاف، ليس إلا، ذلك أن عددا من الأعوان السريين، داهموا بيته في عز الليل، ونوموه و أخذوه إلى مكان مجهول >> [1]

كما << تم اختطاف المطلقة لتوضع تحت الإقامة الجبرية >> [2]، صور الاختطاف تكررت كثيرا مع معارضيه ليُنقلوا بعدها إلى القبر أو لإقامة جبرية مفروضة لكي لا ينقلوا أفكارهم التحررية إلى الشعب، وتلك العدوى لم يسلم منها حتى والده ليباغته ثلة من الأعوان السريين للمستبد " الأعظم " الذي لا ربما شفعت صفة الأبوة عنده فيخضعه للإقامة الجبرية بدلا من القتل، وكذلك الأمر مع مطلقته لعل " الأعظم " أراد أن يدفن أموره الشخصية بعيدا عن الشعب.

إن الصلاحيات التي منحها " الأعظم " لنفسه جعلته يتحكم في كل شيء، من تنصيب وترقيات و إقالات وفي كل المناصب دون استشارة لوزرائه أو مساعديه ،<< إن الأعظم يسيطر على زمام كل شيء، على الجيش، على الحزب، على المخابرات والإعلام، وحتى الشعب معه. >> [3]. فبدون برلمان تشريعي يحفظ صور الديمقراطية في البلد، كان " الأعظم " المستبد يحرك رؤساء المناصب كيفما يشاء و وقتما يشاء، فحتى حق الاستقالة غير متوفر في قاموسه الديكتاتوري، << أنت تعرف جيدا بأنه لا عمل عندنا بمبدأ الاستقالة، الأعظم هو من يعين وهو من يقيل >> [4].

كل فعل يأتي من إرادة حرة يعتبر متمردا في نظر هذا الحاكم الظالم المستبد، ويتوجب معاقبة الفاعل مهما يكن.

---

[1]- إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص63

[2]- المصدر نفسه، ص77

[3]- المصدر نفسه، ص91

[4]- المصدر نفسه، ص90

لقد ظل الحاكم المستبد يفرض جبروته ويهضم حقوق الغير في دولته، حتى جاء الدور على " الشيخ نور الدين " وزير الشؤون الدينية بعد رفضه لذكر اسم " الأعظم " مع الله ورسوله (صل الله عليه وسلم) في خطبة الجمعة، ليقوم المستبد بإعطاء الأوامر لسجنه في اليوم الأول لزفافه، << دون أن يكون أحد في البيت، سوانا نحن، على علم إلى ذلك الحين بأنه لم يبق للعريس من حرية ينعم بها غير تلك الليلة، يقتاد بعدها، في الصباح، إلى السجن، الأمر الذي حدا بنا إلى الاتفاق على عدم أخذ المزيد من الوقت لأنفسنا من آخر ليلة يقضيها حرا >> [1]، هكذا كان انتقام الطاغية المستبد من الشيخ بعد أن أفسد عليه عرسه وحَولَه من القفص الذهبي إلى القفص الحديدي، << فكانت تلك الليلة غاية في السعادة وغاية في الشقاء، سواء بسواء >> [2]، وقضيا على حلم جميل.

إحدى صور الاستبداد والديكتاتورية التي مارسها " الأعظم " تجسدت في التصفية والاغتيالات، فكانت إحداها في حق " سعد الدين بيتو " << لقد عثر على سعد الدين بيتو، كما ورد في صحف ذلك الصباح، في غرفته مقتولا بعدة رصاصات. صحيفة واحدة فقط أشارت إلى أن الأمر قد يتعلق باغتيال >> [3]، هذا الرجل المعارض لمنهج الحاكم الرجعي المستبد لم يسلم من بطش هذا الأخير، فكانت نهايةَ حياته بعدة رصاصات.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص104

[2]– المصدر نفسه، ص 105

[3]– المصدر نفسه، ص222

إن مسلسل التنكيل بالحريات تواصل مع مقربيه، من إقامات جبرية وإعدامات لكل خائن في نظر " الأعظم "، السيدة " جيدة " التي لم تصل إلى طريقة تفوز بها بالصفح وجدت نفسها في الإقامة الجبرية << بعد مرور يوم على اللقاء، وضع الأعظم أخته تحت الإقامة الجبرية >> [1]، في انتظار مصيرها الذي سيقرره الطاغية، هذا الأخير كعادته قام بعدها بإعدام أخته الوحيدة، لتلتحق بزوجها في طابور ضحايا السفاح المستبد، << وقد تم تنفيذ حكم الإعدام في جيدة بوزو بعد مرور بضعة شهور على مقتل زوجها >> [2]، ذلك الزوج " عيسى بوزو " المدعو " بيديا " لطالما رآه " الأعظم " قائدا للمتمردين الذين حاولوا الانقلاب عليه، أخذ هو الآخر نصيبه من السجن، قبل أن يدخل ساحة الإعدام، ويقتل رميا بالرصاص تحت أنظار الحاكم السفاح الذي كان يتمتع بمشاهدة صهره ينزف وتخرج روحه رويدا رويدا.

وفي الحلقة الأخيرة من مسلسل الإعدامات، ختمها ذلك الحاكم الرجعي المستبد بابنه " مهند " الرجل الثاني في الدولة، وصاحب أكثر المناصب الحساسة " رئيس المخابرات " << أقدم الأعظم على إعدام مهند بطريقة تذكر كثيرا بإعدام صهره عيسى بوزو، ففي ذلك اليوم أيضا ألغى كل مواعيده آمرا بألا يزعج أيا كان السبب، وفي مكتب خاص، ربما نفسه الذي شاهد فيه وقائع إعدام صهره، رأى ابنه الأثير لديه يقف أمام فيصل الإعدام >> [3]، كان " الأعظم " قد أطلق آخر رصاصاته نحو ابنه غير مكترث للقرابة أو روح الأبوة، ليعبر عن وحش يسكن بداخله مليء بحب الذات و مكشرا عن أنيابه في كل من تسول له نفسه بخيانته أو التفكير في إزاحته عن كرسيه أو عرشه.

---

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص250

[2]– المصدر نفسه، ص254

[3]– المصدر نفسه، ص349

يمكننا تلخيص كل صور الاستبداد والظلم والقهر التي فرضها الحاكم " الأعظم " السفاح طيلة تربعه على كرسي الحكم والتي دامت ما يقارب أربعين سنة من مظاهر المداهمات والملاحقات والاعتقالات و الإعدامات إلى أن لم يعد هناك من يعتقل أو يعدم، راسما بذلك صورة ديكتاتورية لم يسبق لها مثيل، ليصبح قائدا مهابا من الجميع، حكومة وشعبا، مساكين وأغنياء، صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا، ويحول بلاده إلى ساحة معركة كبيرة، يسودها سكون الموت وسط جثث القتلى والمهزومين.

2: صورة المحكوم بين الانهزامية والخضوع:

هي تلك الأمـــة التي لا تستطيع المقاومة، أو ذاك الفرد الذي سلبت منه كامل حريتـه وآراءه، أو بالأحرى هو شعب بلد ضربة عليهم الذلة والمسكنة من طرف رئيسهم وهم له صاغرون وطائعون، ولا يسألون عن الحرية، ولا يلتمسون العدالة، ولا يعرفون للاستقلال قيمة .

هو أن الحاكم قام باستعباد الناس بشكل كامل وجعلهم يخضعون له، وينهزمون أمامه بشتى الطرق وأنواعها، أي هي قوة حتمية ولا يمك عصيانها، فالمحكوم بين الانهزامية والخضوع هو عبارة عن ، << ركـــام مخلوقـــات نامية، أو جمعية عبيد لمـــالك متغلب، وظيفتهـم الطاعة والانقيـــاد ولو كرهـا >> [1]. فهي السلوك الجبان الذي يرضى به المستعبد، وهو يظن أنه يحقق الاستقرار، بدون أن يفكر بأنه عبر هذا الانهزام والاستسلام والخضوع، قد بادل أفضل ما يملكه بحرية الشخصية، بأسوأ ما يملكه الآخر أو الرئيس و الحاكم وهو التسلط. ومع تكرار القتل والإعدام و الاستبداد لا يتعظ هؤلاء العبيد بمصير الآخرين وينتظرون مصيرهم حتى يقتنعوا أن لا حرية لهم، وما هم إلا عبيد برغبتهم، لأنهم هم من قدموا أنفسهم للمستبد ونسوا حريتهم، لأن الطاغية المستبد يملك الرغبة بالتسلط فيما يملك الآخرون الاستعداد لرفع الراية البيضاء و الاستسلام له.

وباستمرار الرئيس في القمع وحالات الاستبداد فإنه لا مفر للمحكوم عليه إلا للخضوع للسلطة الحاكم والقوة كما يقول "طاهر" والد "الأعظم": << إذا وجدكم ساكتين، خانعين، كالخرفان، فكيف تريدون أن يقدركم ويهتم بمصيركم وبمصير أولادكم؟ بل أقول لكم، والله أنتم في هذه الحالة تستأهلون قدركم، هذا الذي لا تحسدكم عليه البهائم وما سواها من ذوات الأربع >> [2]، حيث أنهم كانوا أكثر خضوعا وطواعية من تلك الحيوانات نفسها، لم

[1]– عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص106

[2]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص40

يفكروا في أي ثورة، وعصيان المدني ضد التعسف وتغيير وضعهم الإيديولوجي، بل لم يتقبلوا حتى النصيحة من والد " الأعظم "، والخروج للمطالبة بحقوقهم المهضومة فما كان ردهم إلا دعوات بالشفاء لشيخ أصابه الخرف، ونزل من علياء الملوك إلى عيشة الشحاذين و أبناء السبيل، << كانوا يعتبرون بأن والد الأعظم قد أصابه الخرف واختل المسكين، عقله، فكانوا يدعون له الله بالشفاء ويسألون ربهم العون والسلوان للأعظم، والده >> [1]، ذلك الشيخ المسن كان غنيا بكرامته تنازل عن الماديات والترف وآثر الفقر بشرف، ولكن عامة شعب المنارة أصابهم الفقر الإيديولوجي و خضعوا منهزمين " للأعظم " بكل جوارحهم .

ومن بين الذين خضعوا لأهواء " الأعظم " كان " حمدان لاغا " الذي سلبت منه خطيبته التي عاشت معه ويلات الثورة بتفاصيلها وكاد يفوز بتلك الممرضة الحسناء، قبل أن يكون " للأعظم " رأي آخر، << أحس حمدان بأنه طعن في الظهر من طرف مونية ومن طرف الأعظم ومن طرف الجميع، شاعرا بأنه انتهى سياسيا وكإنسان وبأن الحياة لم تعد تعني له شيئا، فصار يكفر بكل شيء، بالثورة والوطن و الرفاق والعالم بأسره >> [2]، واستسلم " حمدان " للأمر الواقع وانعزل على نفسه دون أن يشكو لأحد ما به من غيض، ربما خشية أن تصل إحدى مكبوتاته " للأعظم "، فيكون مصيره أشد من الخيانة التي تعرض لها وأصابته، فلم يبدي " حمدان " أية ردة فعل عن هذا الموقف ولو بكلمة حق عن سلطان جائر، لتقوده انهزاميته تلك للانتحار فوُجد جثة هامدة على أريكته ودفنت معه أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، وحقوقه التي كان لا بد لها أن تسترجع، على الأقل حق اختيار الزوجة، لأن حتى الخطيبة المسلوبة من طرف " الأعظم " لم يكن لها حل آخر

[1]- إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص40-41

[2]- المصدر نفسه، ص83

أو خيار سوى ترك " حمدان " ليقودها انهزامها وخضوعها للزواج بالمستبد طاعة أو كرها لأن قراراته لا يمكن رفضها أو حتى مناقشتها .

حتى رموز السيادة في البلاد كان لا بد لها أن تتغير إذا أزعجت " الأعظم " ولم تعجبه حروفها، خمسة شعراء يسعون جاهدين لتحريف النشيد الوطني بما يطرب مسامع الزعيم الأول في البلاد، ولكن هيهات << مستمرين في المعاناة عاما كاملا آملين منها الاستسلام والانقياد، لكن بدون جدوى في الأخير، ملاحظين في عجز ويأس ورعب أيضا، مدركين تمام الإدراك بأن الأعظم لن يغفر لهم إخفاقهم >> [1]، لم يكن لهؤلاء التعساء المساكين حل سوى تغيير النشيد الوطني أو تتغير حياتهم هم إن عاشوا كلهم أصلا، << حتى أن الأمر انتهى بأحدهم إلى تقديم استقالته، فزج به في السجن مدى الحياة وحرم من كتابة الشعر وقراءته، فيما انتحر آخر، من جراء اليأس وعذاب الضمير >> [2] ، مدركين قَدَرَهُم المحتوم، ليكتبوا في الأخير وصياتهم بد كتابة نشيد وطني جديد لدولة " الأعظم ".

شيم الخضوع كانت تتوارث عند الرعية إبان حكم " الأعظم "، حتى وصلت إلى أولاده << من غير أن تنسى كوثر، في آن واحد، غرس روح الانقياد للأعظم في نفوسهم، قائلة لهم في كل مرة كلما لمس فيكم الطاعة، كلما كبر شأنكم عنده فامتثلوا لأوامره ونواهيه، ولا ترفعوا عيونكم ولا أصواتكم أمامه، ولا تناقشوه ولا تجادلوه، وقولوا له دائما سمعا و طاعة يا أبتاه >> [3]، فنجد مطلقة " الأعظم " باتت توصي أبنائها بالانصياع والرضوخ لوالدهم " الأعظم "، خائفة عن مصير أبناءها، لأن الرئيس الديكتاتوري لا يعرف رحمة ولا شفقة، لا أحبابه ولا أصحابه لا أقربائه ولا حتى أولاده،

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص134

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[3]– المصدر نفسه ، ص236–237

فكلما زاد الانقياد له سلمت الأعناق من مقصلة الإعدام، حتى إن " كوثر" طليقة الرئيس << أي أبنائي الأعزاء، أنه مهما أبديتم للأعظم من خضوع وانصياع، فذلك شيء قليل ومن أضعف الإيمان، فـاعبدوه كما تعبــدون الله، استغفره سبحانه وأستعين به، واعملوا بنصيحة أمكم، تصلون إلى قمم المجد والسؤدد >> [1]، لعل " كوثر" كانت أكثر شخص له دراية بصرامة ذلك الطاغية وسطوته، لذلك راحت ترسم لأبنائها سبيل العيش الكريم، عبر طريق العبودية المطلقة أملا في سلامتهم وطول عمرهم عند السفاح.

حين يصبح مصير الإنسان لعبة في يد طاغية لا يرحم، فما عساه غير التوسل والتضرع لعله يجد ذرة رحمة في ذلك الكيان السفاح، مثلما كان مع أخــت " الأعظم " << لا تترك أبنائي يعيشون يتامى، إنهم صغار، لا حول لهم ولا قوة، إنني أقبل قدميك، أتوسل إليك، يا أخي العزيز، أن تسأل ضميرك إن كان من العدل والشرف والشهامة أن تترك أولاد أختك الصغار الأبرياء يتامى ضائعين >> [2].

هذا الموقف الذي لا تحسد عليه أخته " جيدة " عاشته في بلاط " الأعظم "، حين ذهبت تلتمس الخلاص تحت قدميه << فأنا على استعداد لأن أضحي بروحي في سبيلك ، فقال لقد ظننت بأنك جئت تسعين لشراء خلاصك ، فقالت جئت أسعى لخلاص أولاد أختك >>[3] ، كل مراسيم الذل ساقتها أخته " جيدة " له، كانت من أجل حماية عنقها وكفالة أبنائها، حيث ذهبت وكلها انهزام وتضرع وتوسل لتقابل موتها وهي على دراية بأنه لا أحد يستطيع حمايتها أو حماية أبنائها من قبضة خالهم العنيف، الطاغية، المستبد الذي لا يحمل في قلبه القاسي لا رحمة ولا شفقة لأبناء شعبه أو رفقاء دربه.

[1]– إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، ص237

[2]– المصدر نفسه، ص247–248

[3]– المصدر نفسه، ص248

منذ ما يزيد عن أربعين عاما، وشعب المنارة أو شعب " الأعظم "، يعاني من الفقر والبطالة واليأس والقمع المسلط عليه، من نظام الحاكم المستبد القمعي، الديكتاتوري العنيف الذي لا يملك من حلول يقدمها غير الترهيب والحرمان من الحرية، و الزج بكل من يعارضه أو لا يطيعه أو لا يخضع له ولا ينهزم أمام حكمه في السجون، والشيء الذي يميز المحكومين، ظنهم أن حاكمهم لن يمسه الموت وسيظل حيا، وهم له عابدين وخاضعين، ومستسلمين، ومنهزمين، وطائعين، وصاغرين .

خـاتمة

في ضوء ما تقدم من البحث في تجليات الخطاب السياسي والإيديولوجي في رواية "الأعظـم " للروائي "إبراهيم سعدي "، توصلنا في الأخير إلى بعض النتائج التي كانت إجابات عن التساؤلات التي طرحناها سابقا، لتزيل بعض الغموض الذي واجهنا في بداية البحث، والتي نرجوا أن تكون قد ساهمت في إضافة مميزة في مجال البحث:

– الخطاب السياسي هو الذي يصدر عن جهة سياسية، وهو ما يراد به خطاب السلطة الحاكمة.

– والخطاب السياسي هو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلقِ مقصود، بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب.

– إن الإيديولوجيا مرتبطة بالتوجه السياسي، وهي تمثل قرارات السلطة الحاكمة ومنهج سياسي للجماعة الحاكمة.

– وفيما يتعلق بالإيديولوجيا ارتباطها بعقلية المجتمع الذي تمثله، ولا يمكن فهم الإيديولوجيا إلا بواقع ما، الذي تحدده جملة من الصلات سواء أكانت دينية أم فكرية، وهي ظاهرة تدرس في مجتمعها.

– إن الإيديولوجيا نسق فكري واع مرتبط بالعمل السياسي، وهي جملة من الأعمال السياسية في مجتمع معين، والسيطرة على نظام السلطة والحفاظ عليه، مثل ما حدث مع " الأعظم " أربعين سنة وهو متربع على حكم الدولة.

– هناك أنواع مختلفة للسلطة، فقد حدد "ماكس ويبر" " Max Weber " عالم الاجتماع الألماني وأحد رواد النظرية البيروقراطية، ثلاثة أنواع رئيسة للسلطة وهي: السلطة التقليدية، والسلطة الجذابة، والسلطة الرشيدة.

السلطة الجذابة << تتمثل في القادة العظماء والمتميزين من أبطال الحروب والزعماء القيادية، هي تعتمد على الصفات الشخصية والقدرات والخصائص المميزة للقائد، مما يجعل المجموعة تلتف حوله وترى بأن صفاته خارقة ونفوذه قوي وفعال، مما يمكنه من تحقيق أهدافهم وطموحاتهم >>.

اعتمد الكاتب بكثرة في الرواية على الاسترجاع، فكان في حالات كثيرة يرجع بالذاكرة إلى الوراء، من خلال تكسير خطية الزمن.

في الختام ندعو الله أن نكون قد وفقنا في بحثنا، فإن أصبنا فمن الله عز وجل، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

ملحق

❖ ***إبراهيم سعدي:***

إبراهيم سعدي باحث وأستاذ جامعي وروائي جزائري، من مواليد 1950 بولاية بجاية، يحمل دكتوراه في الفلسفة، وهو يدرس بجامعة مولود معمري تيزي وزو، وقد اشتغل بمعهد اللغة والأدب العربي في الفترة الممتدة مابين 1982 و 2008، وبعد ذلك تحول إلى قسم الفلسفة الذي فتح أبوابه للطلبة في السنة الجامعية 2009 – 2010، ليعود ثانية إلى المنزل الأول في نوفمبر 2010.

نشر إبراهيم سعدي إلى اليوم مؤلفا يضم مساهماته في مجال النقد الأدبي يحمل عنوان " مقالات ودراسات في الرواية "، وثماني روايات: المرفوضون (1981)، النخر (1990)، فتاوى زمن الموت (1999)، بوح الرجل القادم من الظلام (2002)، بحثا عن آمال الغبريني (2004)، صمت الفراغ (2006)، كتاب الأسرار (2007)، وآخر رواية " الأعظـــم ".

اشتغل الكاتب أيضا في الصحافة إذ تعامل لمدة ثلاث سنوات مع الملحق الأدبي "آفاق" التابع لجريدة " الحياة " ، مع جريدة " الشروق " الجزائرية حيث كان ينشر مقالات أسبوعية حول الثقافة والمجتمع والسياسة.

ملخص

الروايــة

تدور أحداث الرواية حول شخصية "الأعظـم" وهو " لزهر كلوك " كان طفلا صغيرا ماسح أحذية، تعلم الطريقة الصوفية على يد أحد كبارها ومشايخها في مسجد قديم في دولة المنارة.

صعد إلى الجبل ليحارب الاستعمار مع أصدقائه، وترك خلفه والده "طاهر"، وأخته "جيدة" وزوجته " كوثر "، وأولاده " مهند " و " فارس" و" عبد الغفور "، دامت الثورة عشر سنين، وكان خلالها " عبد الباقي باكور " القائد الأعلى لقوات الثورة، داهمته قوات الاحتلال فاستشهد، ليصبح نائب القائد الأعلى لقوات الثورة " كلوك " الملقب " بالأعظم " قائد الثورة، وظل دائما يحاول الإقتداء بقائده الكبير " عبد الباقي " ما تبقى من سنوات الثورة، وكان يتمتع بثقة الجميع، ولوفائه وإخلاصه للثورة وقائده الأسبق جعل أصدقاءه يختاروه رئيسا وحاكما لدولة المنارة بعد الاستقلال، وبعدها يقوم " الأعظم " بتطليق زوجته "كوثر" و والده " طاهر " في آن واحد، وهذا الأخير كان معارضا شرسا له ولحكمه ورئاسته.

إلا أن " الأعظم " يخون زوجته و والده ورفاق دربه والعهد الثوري، ويقوم بتصفية الكثير منهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ليمارس الضغط على زوجته المطلقة و والده ويضعهم تحت الإقامة الجبرية، وكان " للأعظم " أربع زوجات " المطلقة" و"سارة" و "نور الهدى" و "مونية" وهذه الأخيرة خطيبة صديقه " حمدان لاغا "، ويتزوج بها " الأعظم "، مما يؤدي " بحمدان " إلى الانتحار، ويقوم بسجن وزير الشؤون الدينية " نور الدين سطورا " مدى الحياة، لأنه رفض أن يدعو له مع الله ورسوله (صل الله عليه وسلم) في كل صلاة جمعة، في حين يقوم بإعدام وزير الثقافة " إيمان زوكورة " الذي رفض انجاز نصب تذكاري " للأعظم " في قلب المنارة، وتتواصل عمليات الإعدام للطاغية المستبد، فيقوم هذا الديكتاتوري بإعدام صهره " عيسى بوزو " الملقب " بيديا "، لأنه قام بالاشتراك في محاولة انقلاب عسكري عليه، وإعدام أخته " جيدة " التي اتهمها بالخيانة، ونفس

مصير ابنه " مهند " الذي يتهمه بالخيانة في اغتيال أخوه " فارس "، وفي كل هذه الإعدامات والاغتيالات كان "الأعظم " يقوم بمشاهدتها كلها في مكتبه الخاص وبكل تلذذ.

واشتهرت زوجته " نور الهدى " ابنة صاحب الطريقة الصوفية كعرافة، ذات قدرات لا تفسير لها ولا حدود لها، سوى بأنها هبة من الله، تتنبأ " للأعظم " في كل شيء، مما أدى " بالأعظم" إلى طلب مساعدتها في كل مشكلة عويصة.

وفي أواخر عمره يقوم " الأعظم " بتنظيم جنازته وبناء قبره الخرافي، ويطلب من جميع شعراء المنارة بتنظيم رثاء له قبل موته، ليصاب في الأخير بمرض لا شفاء له، ويدعوا ابنه " عبد الغفور " الملاكم الذي لا شأن له بالسياسة والحكم، إلى وراثة كرسي العرش ويستجيب ابنه لذلك، فيموت " الأعظم "، ويستمر " عبد الغفور " في الحكم ويصبح الحاكم الأول لدولة المنارة بعد أربعين سنة من حكم أبيه " الأعظم ".

قائمـــة

المصـــــادر

والمـــــراجع

أولا- المصـــــــــــــادر:

1) إبراهيم سعدي، رواية الأعظم، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، (د، ت).

ثانيا- المعاجـــــــم :

2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خَطبَ)، ط3، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (1419هـ -1999م)، ج4.

3) لاروس، المعجم العربي الأساسي، مادة (خَطبَ)، (د، ط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د، ت).

ثالثا- المـــــــــــــــراجـع:

أ- المراجـــــــــع باللغة العربـــــية

1) جابر عصفور، آفاق العصر، ط1، دار الهدى للثقافة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا،1997.

2) الحريري رافدة، مهارات القيادة التربوية في اتخاذ القرارات الإدارية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ج1.

3) عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (1427ه- 2006م).

4) رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2003.

5) سربست مصطفى رشيد اميدي، المعارضة السياسة والضمانات الدستورية لعملها (دراسة –قانونية –سياسية – تحليلية - مقارنة)، ط1، مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر، منتدى اقرأ الثقافي، 2011.

6) سعيد بن كراد: النص السردي نحو سيميائيات الإيديولوجيا، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006.

7) عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.

8) محمد الصالح البوعمراني: الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، (1436هـ- 2015م).

9) محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، (1426هـ- 2005م).

10) نبيل رمزي: سوسيولوجيا المعرفة، جدل الوعي والوجود الاجتماعي، (د، ط)، دار الفكر الجامعي- الإسكندرية، 2001.

ب- المراجع المترجمـــــــــــــــــة:

1) جيران جينيت: خطاب الحكاية، ، تر: محمد معتصم وآخرين، ط3، منشورات الاختلاف،1997.

2) دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 .

رابعا- الرسائل الجـــــــــــامعية:

1) سليم بتقة: البعد الأيديولوجي في الرواية الجزائرية –رواية الحريق- لمحمد ديب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، بسكرة، 2006.

خامسا- المـــــواقع الإلكتـــــرونية:

1) http://free-forever.yoo7.com/t29-topic، مفهوم الانقلاب و مقارنة بين الانقلاب العسكرى و الثورة، الجمعة 21 أفريل الساعة 15:00

فهرس

الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمـــــــــــــــــــــــــــة	**أ، ب، ت**
مدخـــــــــــــــــــــــــــل	
1- مفهوم الخطاب	6
1-1: الخطاب لغة	6
1-2: الخطاب اصطلاحا	10 -7
2- مفهوم الخطاب السياســـــــــي	15-11
3- مفهوم الخطاب الإيديولوجي	22-16
الفصل الأول: تمظهرات الخطاب السياسي في الرواية	
1- خطاب السلطة	28-24
2- خطاب الرعية	36-29
3- السياسة القمعية	46-37
الفصل الثاني: تمظهرات الخطاب الإيديولوجي في الرواية	
1- صورة الحاكم بين الرجعية والاستبداد	53-48
2- صورة المحكوم بين الانهزامية والخضوع	58-54
الخاتمـــــــــــــــــــــــــــة	61-60

ملحـــــــــــــق	66-63
قائمة المصـــــادر والمراجـــع	70-68
الـفهـــــــــــــــــــــــــــرس	73-72

الملخـــص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ"تجليات الخطاب السياسي والإيديولوجي في رواية الأعظم"، تحليلا نظريا وتطبيقيا.

تتأسس الرواية على أبعاد سياسية، وتمثلت في خطاب السلطة، وموقف الشعب والسياسة القمعية.

يعمل البحث على إبراز التوجهات الإيديولوجية، عبر صورة الحاكم بين الرجعية والاستبداد، وصورة المحكوم بين الانهزامية والخضوع.

Abstract :

This research entitled " Reflections of political and ideological discourse in the novel of the great ", deals with a theoretical and applied analysis.

The novel is based on political dimensions, was represented in the discourse of power, the attitude of peopel and repressive policies.

The research works to highlight the ideological tendencies, through the image of the ruler between reactionary and tyrammy, and the image of the governed between defeatism and submission.